

مواطن الشعوب الإسلامية

في إفريقيا

(٦)

تَشَاكُل

محمود شكر

مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر

١٢٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

الطبعة الأولى

مقوق الطبع محفوظ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربهِ وبعد : كُنّا نَتَوَقَّعُ أن يَستمرّ الدعم لثورة تشاد بعد الحركة التي قامت هناك في صيف عام ١٩٧١م ، والتي ساندتها ليبيا ، وكُنّا نَتَوَقَّعُ أيضاً أن تؤيّد الدول العربيّة ومن ورائها العالم الاسلامي ليبيا في موقفها ، وأن تساعد الحركة وتدعمها ليأخذ الحق مجراه ، وليظهر وجه تشاد الصحيح ، ولتسير في ركب الحق ، وتساعد العرب ضد اسرائيل ، وتطرد البعثّة اليهودية من أراضيها . كما فعلت أوغندة . ، ولكن حدث غير ما كُنّا نَتَوَقَّعُ ، فقد توقّف التأييد ، وساد الصمت ، ونسي الأمر ، وعادت الوساطة الدوليّة لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين ليبيا وتشاد ، ورجع الوضع إلى حالته الراكدة . ونحن نعتقد أن هناك ظلماً قائماً في تشاد ، واستبداداً ظاهراً ، وتمييزاً واضحاً ، وباطلاً مسيطرأ ، ونحن مدعون لإزالة هذا الباطل ومنع ذاك الظلم ، وما لكم لا تقاثلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال

والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك نصيراً .
ولكن هذا الظلم لا يزول إلا بتأييدنا للحركة المناهضة له ، والتي لا يمكن أن تنجح ما لم تتلق دعماً من الخارج ، مهما أخذت بأسباب القوة ، ما دام السلاح بيد الظالمين وإليهم يأتي الدعم من المستعمرين ومن الدول الأجنبية .

كما لا يمكن الانتصار على إسرائيل إلا بعد هزيمتها من الخارج ، وقطع كل الأسباب المؤدية إلى حياتها وخاصة الاقتصادية منها حيث تعتمد على المعونات والمساعدات الخارجية ، وكذا الدعاية ، وهذا لا يتم ، ولا تفيد المقاطعة العربية شيئاً إلا إذا أغلقت السبل الإفريقية في وجه إسرائيل حيث إن دول إفريقيا هي التي تمد إسرائيل ببعض أسباب الحياة . فيجب دعم كل حركة تقوم في أية دولة إفريقية تريد القضاء على حكمها الذين يتعاونون مع إسرائيل . وفي مقدمتهم حكام تشاد .

وإن ترك التأييد لحركة دعمت في الماضي سيؤثر عليها ، لأن أفرادها يقطعون الأمل في النصر عندما لا يجدون الدعم ممن ينتظرون ؛ وفي النهاية تموت الحركة ، وتفشل الثورة ، ويستمر

الوضع السيء ، ويتأدى الحاكم في غيه ، ونخسر الجولة ، ويكون النصر للطغاة ولأمرائيل .

وهذا ما نريده من كتابة هذا الموضوع في مساعدة سكان تشاد على الاستمرار في حركتهم لمقاومة الظالمين ، وحث الدول العربية والإسلامية على مساعدتهم ، وفي تعريف المسلمين بأحوال اخوانهم هناك ، فنرجو من الله أن نوفق في عرض هذا البحث ، وأن يكون عملنا خالصاً له . وهو نعم المولى ونعم النصير .

٢٢/٣/١٩٧٢ م

محمود شاكر

علاقتنا بتشاد

قال لي أخ زرتة ، وقد عاد من ليبيا بعد أن حاضراً عاماً في جامعتها - والحديث في مثل هذه الزيارات لا يدور إلا عن المشاهدات والملاحظات في تلك البلاد التي كان فيها المسافر . سأل - وهو يعلم مدى اهتمامي بالبلاد الأفريقية - عن عاصمة ليبيا ، والمعروف أنها كانت طرابلس - ولكنها قد نقلت إلى مدينة البيضاء شمال شرقي مدينة بنغازي على الجبل الأخضر ، حيث المناخ المعتدل والجو اللطيف ، وكان يعتقد أن مدينة البيضاء لا تزال مجهولة ، وأن نقل العاصمة غير معروف بالنسبة لكثير من الناس ، فلم أستنكر ، فأجبت ، وإن استنكره الحضور . ثم سألت أسئلة عديدة عن المواقع والمدن ، منها الكبير المعروف ، ومنها الصغير المجهول ، ثم تطرق إلى العادات والتقاليد فبعضها الشائع العام وبعضها المحلي الخاص .

وجهت إليه سؤالاً بسيطاً ، فظن أول الأمر أنه انتقاص

من شأنه وحط من علو مكانه وظهر أثر ذلك على وجهه
فأجاب : - وإن تامل - .

إننا لا نزال طلاباً في الجغرافية - وكأنه يريد
الغمز - فاعتذرت إليه - وأوضحت أنني لا أقصد شيئاً مما يفكر ،
وأن الموضوع عام ، ما دام الأمر قد طرق .

قلت : ليبيا دولة عربية ، وبقيت فيها سنة كاملة ، يجاورها
من الجنوب جمهورية ... فسكت ولم يرد أن يجيب إجابة خاطئة .

قال : والله إن المناهج المدرسية لناقصة كل النقص ، ويجب
إعادة النظر فيها من الأساس ، ومع هذا فإننا لا نهتم بالحدود
المرسومة ، والرموز الوهمية ، والخطوط الرمزية ، ولا نبتغي ما
يشير الأحقاد بين العباد ، ولا نقيم للتراث وزناً بجانب الروابط
الروحية التي تجمعنا مع سكان تلك البلاد التي لا أعرف لها اسماً
ونعتبر أن العلم الذي لا يثير الفكر ، ولا يخدم الأمة ، ليس بعلم ،
وإن كل الوري إذا اعتقدوا ما نعتقد فهم أهل ، لا يفصل بين
قلوبهم المتحدة إشارات وضعها أعداؤهم ، وأخيراً فأنا أعرف أن
سكان تلك البلاد أغلبهم من المسلمين ، قلوبهم معنا ، وأفئدتهم تهفو
إلينا ، يتبعون قضايانا باهتمام ، وإن كنا لا نعرف عنهم شيئاً ،

وأعرف أن منهم قبائل عربية هي نفس القبائل التي تنتقل في جنوب ليبيا .

قلت : هذا صحيح وأنا لا أشك بعلوماتك وقدرتك ، ولكن أليس من الضروري أن نتعرف على تلك البلاد وسكانها ، وندرس أوضاعهم وأحوالهم ومشكلاتهم ، وإن ذلك ضروري ليس من ناحية معينة أو من جانب واحد بل من عدة نواحي .

١ - دينية : فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، وإن سكان تشاد أغلبهم من المسلمين تزيد نسبتهم عن ٨٥ بالمائة من السكان ، ومع ذلك تتحكم فيهم أقلية صغيرة تقل عن ١٠ بالمائة صنعها الاستعمار تحت يده ، ورباها أمام عينيه ، حتى إذا استقامت له سلمها زمام الأمر والحكم ، كما أن أحوال المسلمين سيئة ، وأوضاعهم رديئة ، يقاسون من العذاب ما يقاسون ، يطلبون المساعدة ولكن لا تمتد إليهم الأيدي ، ويطلبون النجدة ولكن نخوة المعتصم قد فقدت^(١)، وقد ذكرت جريدة الثورة السورية

(١) - كان توفيل ملك الروم ، ينهب القرمس الملائمة ، لينتقم من المسلمين الذين دوخوه ، وألزموه أن يدفع الفدية قهراً . فحدث أنه لما كان الافشين أحد قواد المعتصم يحاصر بابك الخرمي الشائر على الدولة ، ويضايقه -

« إن سكان جمهورية تشاد الذين يتألف ٨٠ بالمائة منهم من المسلمين يخضعون لحكم الأقلية المدعومة من الاستعمار ، ومن المعروف أيضاً أن حكومة الأقلية تمارس الاضطهاد الديني والعنصري لأبناء الشعب التشادي وتحاول إبقاء المسلمين في حالة

— أن تحرك تيوفيل في مائة ألف مقاتل ، حتى أتى زبطرة ، فقتل من فيها من الرجال ، وسبى النساء والذرية ، وأحرق المدينة ، وسار إلى ملاطية ، فأغار على أهلها ، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة ، ومثل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وأنوفهم ، فصاحت إحدى المسلمات « وامعتصماه » ، ووصلت تلك الأخبار إلى المعتصم في سامراء ، فاشتد عليه ، وصاح النفي ، وسار على رأس الجيش فأنفذ الحصون التي دخلها تيوفيل ، ثم سأل أي حصن هو أقوى حصون الروم ، فقيل : عمورية ، فذهب إليها ، ودخلها ، وأحرقها رغم تكهنات المنجمين بأن عمورية لن تفتح في مثل هذا الوقت : وأصبحت نجدة المعتصم ونحوه مثلاً رائعاً في التاريخ ، يضرب بها المثل في كل مناسبة وها هو ذا الشاعر عمر أبو ريشة يذكرها في قصيدته فلسطين .

رب وامعتصماه انطلقت
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم
ملء أفواه البنات اليتيم

من الجهل ، فلا تتجاوز مدارسهم الشهادة الابتدائية في حين تتجاوز المدارس الفرنسية شهادة الدراسة الثانوية (١) .

ورغم هذا الذي ذكر فإن جميع أجهزة الاعلام لا تتكلم بشيء عن الوضع في تشاد ، ولا تهتم بذلك ، وبالتالي لا يعرف الشعب شيئاً ، لأنه إذا أريد له أن يعرف فليس من وسيلة إلا أجهزة الاعلام .

ولما كنت أهتم بشؤون إفريقية ، كنت أتوقع أن يشغل موضوع تشاد حيزاً من الإعلام بعد زيارة وفد منها إلى سورية (٢) وبعد الأحداث الأخيرة التي جرت فيها .

ولكن الأمر لم يلبث طويلاً ، فذهب الوفد ، وسكنت الصحف ، حتى عاد الوضع إلى طبيعته الراكدة . ولا بد من القول إن هذا الذي لا يزال غامضاً بالنسبة لنا قد أصبح واضحاً جلياً لغيرنا ، وغاب عنا وأدركه الأعداء ، فما هو رئيس وزراء الصين الشعبية يقول لأحد الوزراء العرب أثناء زيارتهم للصين :

(١) التي تصدر في دمشق بعدها ٧٧٠ تاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٥ .

(٢) كان وفد من تشاد قد زار في تلك الفترة الجمهورية العربية السورية واجتمع بالمسؤولين فيها .

« إن العرب الآن هم أشد الأمم إهمالاً للسياسة والاستفادة من الظروف وكسب ود الشعوب فإن وراء العرب ٦٠٠ مليون مسلم ، يستطيعون أن يحركوهم حسب إشارات أصابعهم بكلمة واحدة هي (محمد) إن استطاعوا أن يحسنوا الصلة بهم ، وإن في الصين عندنا عشرات الملايين من المسلمين ، ورغم جهلهم بالإسلام ، فإنهم أقرب إليكم منا ، ونحن اليرم لا يحركنا أمثال هذا الكلام ، ولا يدفعنا لتحسين الصلة مع بقية المسلمين في العالم .

٢ - قومية : يتنقل في شمال تشاد قبائل عربية ، هي نفس القبائل التي تعيش في ليبيا مثل قبائل (تيبو) التي هي من قبائل الطوارق التي تنتشر في ليبيا ، كما تنتقل في الشرق قبائل تمت بصلة إلى القبائل التي تعيش في السودان ، وعلى هذا يشكل العرب نسبة كبيرة من سكان تشاد ، إضافة إلى أن اللغة العربية شائعة في تلك الأرجاء ، حيث إنها لغة الدين الإسلامي الوحيدة ، والمسلمون كما ذكرنا يؤلفون أغلبية السكان . وقد جاء في جريدة الثورة السورية « ويبلغ عدد العرب فيها (تشاد) ٤٥ بالمائة من السكان وعشرين بالمائة من القبائل المختلفة ^(١) » . وقد

(١) - الثورة : العدد ٧٧١ تاريخ ٢٠/١١/١٩٦٥ .

جاء في عدد آخر من نفس الجريدة (فقد بين الوفد أن ٨٠ بالمائة من سكان تشاد عرب ومسلمون ويتكلمون اللغة العربية ، ولكن تفرض عليهم من الناحية الرسمية اللغة الفرنسية) (١) . أنا لا أقول إن القومية مبدأ أو دستور أو غاية بحد ذاتها ، وإنما هي مجرد وسيلة ينادي بها الزعماء لإلهاب العاطفة وزيادة الشباب حماساً ، ودفعهم نحو النشاط ، وخاصة في البلاد المتفككة والمقاطعات المجزأة ، وينتهي أثرها بانتهاء التجزؤ ويطوئها التاريخ ، وتصبح الحاجة ماسة إلى فكرة أشمل وأعم وأوسع مدى وأكثر ربطاً واندماجاً . ومع ذلك فقد أصبحت اليوم هي اللازمة التي تردد في الخطب ، وتنادي بها الجموع في كل مناسبة ، في الأقطار العربية المختلفة ، وهي تعتمد بالدرجة الأولى على الجنس وتقوم على القوم ، ومع ذلك فلا يثير وضع هؤلاء العرب في تشاد وغيرها من البلدان الإفريقية أي اهتمام منا .

فمن أول دواعي القومية أن يعرف الفرد حدود وطنه والدول التي تتجاور مع أرضه ، ولو سألنا طلاب الصفوف الثانوية في المشرق عن حدود وطنهم الجنوبية في إفريقية ، لأخطأ الجواب جميعهم ، ولأجاب معظمهم الصحراء الكبرى ، وكلمة صحراء

(١) - الثورة : العدد ٧٧٢ تاريخ ٢١/١١/١٩٦٥ .

تدلل على بيئة جغرافية ولا تدل مطلقاً على دول سياسية ، ولو أوضحنا ذلك لبقيت الإجابات الصحيحة معدومة ، ولو أردنا إدراك سبب هذه الأخطاء لرأيناه في المناهج . ومن الدواعي القومية أن يعرف الإنسان تاريخ أمته ، وتاريخنا مشترك مع عدد من الدول الإسلامية في إفريقية ومع ذلك فنحن نجعل هذا التاريخ ، بل نغض أعيننا عن رؤيته ، ونصم آذاننا عن سماعه وعن تفهمه ووعيه .

ومن مقومات القومية العادات والتقاليد ، وعادات القبائل في تلك البلاد عادات عربية صرفة وتقاليد عربية بحتة ، ولقد تركنا عاداتنا ، وتمسكوا بها ، قلنا الغرب ، وحافظوا على تقاليدنا ، وإن كنا لا نزال نتغنى بتقاليدنا ، ونقف على ذكراها في كل حفل ، وهذا لا يمنع ، فالقول والمناداة شيء والعمل والتطبيق شيء آخر - مع الأسف - ومن مقومات القومية الآمال والآلام ، فكان إفريقية يتوقون لمعرفة أخبارنا ، ويتشوقون لسماع أحداثنا ، تهفو قلوبهم إلينا ، وتحقق أعينهم نحونا ، تهزم مصائبنا ، وتؤثر فيهم نوابنا ، يفرحون لأفراحنا ، ويسرون لانتصاراتنا ، ونحن عنهم مولون ، لا نعرف شيئاً عنهم

بل لا نريد أن نعرف ، ولا نسمع عنهم خبراً بل لا نتقصى
أنراً ، فأين القومية ومقوماتها ؟ .

٣ - سياسية : إن أولى مطالب السياسة ، أن تعرف الدولة
جيرانها وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم ، فهناك حدود مشتركة
ومصالح واحدة ، ويمكن أن تكون مبادلات تجارية ومعاهدات
ثقافية ، وعقد اتفاقيات من أجل تنفيذ مشاريع حيوية ، أو مد
سكك حديدية ، أو مواصلات هاتفية أو ما إلى ذلك من شؤون
وأمر ، إضافة إلى هذا فنشارك مع جيراننا بسياسة واحدة هي
مقاومة الاستعمار وكسر شوكته .

إن إفريقية قد بدأت تنفض عن عيونها غبار الجهل الذي
دام مدة طويلة ورثته عن الاستعمار ، وبدأت دولها العديدة تلعب
دوراً ظاهراً في الاقتصاد العالمي والسياسة الدولية ، وبدأ الصراع
بين المعسكرات يدخل إليها ، والأفكار تنتشر فيها ، وأصبحت
كل أمة تدلي بدلوها لتقوي مركزها في البلدان الإفريقية
الناشئة ، وبدأ التنافس بين البلدان العربية ودولة العصابات
(إسرائيل) أيضاً ، ورغم الصلات القوية والروابط المتينة بيننا
وبين دول إفريقية ، فإني أقول بصراحة : إننا سنخسر الجولة - مع

الأسف - إذ بقينا على ما نحن عليه ، فاهتمامنا بإفريقية ضئيل جداً ،
وحتى من حيث الدراسة - وإن وجدت - فلا تتعدى اللوحة
عن النواحي الطبيعية والاقتصادية دون أن تصل ولو بعبارات
خاطفة إلى النواحي الاجتماعية ومشكلات السكان ، أما إسرائيل
فقد استطاعت الاتصال بهذه الدول وقامت الزيارات ، وحصلت
المبادلات ، وأسست الشركات ، وابتدأ التعاون ، فقد جاء على
لسان الوفد الذي زار الجمهورية العربية السورية عن الوضع السيء الذي
يعانيه الشعب التشادي وهو يعيش تحت وطأة دكتاتورية حزب
حاكم منقاد للاستعمار والصهيونية ، وقال : « إن حكماً تشاد قد
عينهم الاستعمار الفرنسي تعييناً ، وإنهم جميعاً يتعاونون مع الصهيونية
العالمية وإسرائيل ، وقال إن النفوذ الإسرائيلي في تشاد هو في
ازدياد كبير ، ويشكل خطراً على البلاد ، وفضح خطة حكومة
الأقلية بإرسالها عام ١٩٥٩ بعثة برلمانية رسمية إلى إسرائيل وقعت
معهما اتفاقات مصرية تقدم خلالها - إسرائيل - الخبراء والمستشارين
وأعقب الاتفاقية فتح الأبواب لليهود ، وقال بأنه لم يكن في
تشاد يهودي واحد ، لكن اليهود بدأوا يتغلغلون في البلاد ،
ويتبوأون المراكز الحساسة ، حتى أن مدير الشؤون الإسلامية

في تشاد حالياً هو صهيوني اسرائيلي ، وكذلك مدير الأمن العام واسمه حمداني ، وقال إن اسرائيل قد حضرت بعض المجندين المسرحين في تشاد وقامت بتدريبهم في اسرائيل ، ثم أعادتهم إلى تشاد ليكونوا عوناً لها وركزاً^(١) .

وتحاول الدول الراقية ما أمكنها نشر لغتها ، وتسعى إلى ذلك جاهدة ، وتعتبر انتشار لغتها تقدماً لنفوذها وتوسعاً لأفكارها وكسباً لمؤيدين جدد لها في قضاياها الكبرى التي تسعى من أجلها ، وتكافح للوصول إليها ، ونحن على العكس نرى الشعوب الإسلامية تبذل ما تستطيع في سبيل تعلم اللغة العربية وتضحي بكل امكاناتها في سبيل ذلك ، يفرض عليها دينها ، ونحن لا نبخل بتدريس لغتنا ومحاولة انتشارها وتوسعها ولكن نمتنع عن ذلك أشد الامتناع ونبتعد كل البعد ، بل نحاول ألا نسمع بطلبات إرسال المدرسين لتعليم اللغة العربية ، وما ذلك إلا لأنه

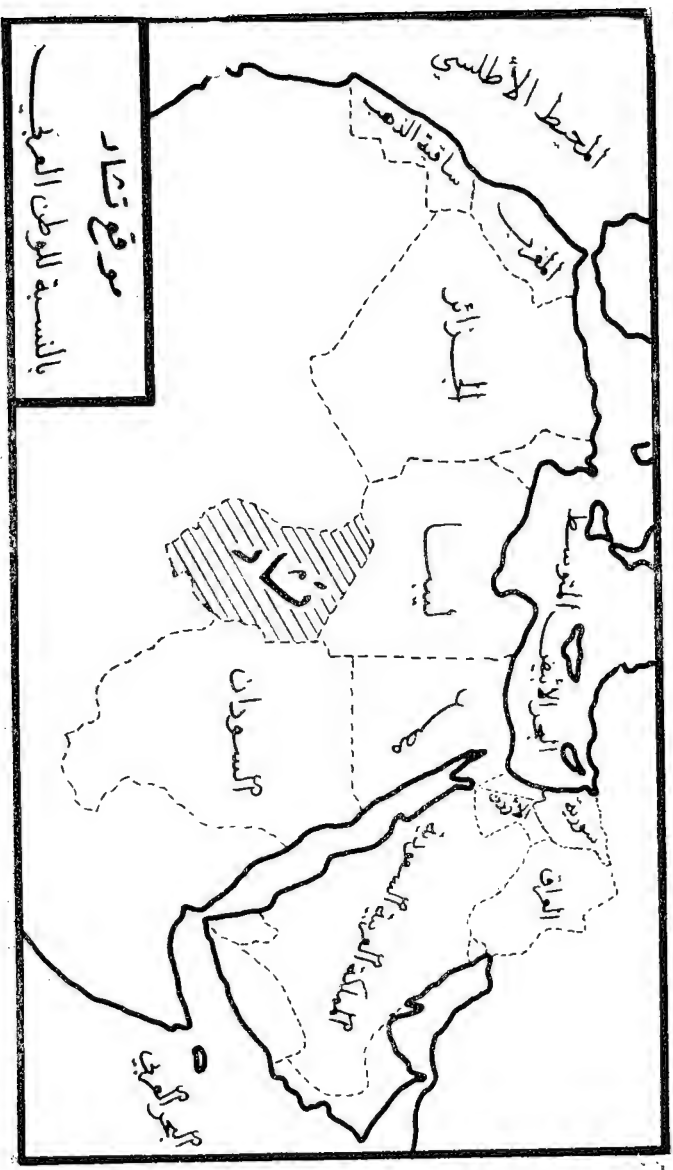
(١) — هذه الأقوال على لسان السيد إبراهيم أنيشارئيس الوفد التشادي الذي زار الجمهورية العربية السورية وزميله السيد أبو بكر عثمان عضو الوفد التشادي ، وهما من حزب الاتحاد الوطني ، أما الحزب الحاكم فهو الحزب التقدمي التشادي .

ليس لنا قضايا كبرى بحاجة إلى دعمها ! ، أو أننا تركنا المجال السياسي في إفريقية وانكمشنا على أنفسنا ، وإما لأننا لا نريد أن نتصل بدول سكانها من المسلمين .

وقد رأينا كيف تغير الوضع في اوغندة لمصلحة العرب ضد اسرائيل التي كانت لها ركائز قوية فيها وذلك بعد الاتصال برئيس جمهورية اوغندة السيد عيدي أمين .

وبعد هذا الكلام طاب مني الأخ الذي عاد من ليبيا الكتابة عن تشاد ومحاولة التعريف بها .

وشعوراً منا بالمسؤولية ، وقياماً بالواجب المترتب علينا رأينا بحث تشاد بالمقدار الذي يحتاجه العمل الشعبي والإنسان العادي والله من وراء القصد .



موقع تشاد
بالنسبة للوطن العربي

تشاد

دولة تقع وسط إفريقيا ، تشغل مساحة واسعة ، تزيد عن مليون وربع من الكيلومترات المربعة (١,٢٨٤,٠٠٠ كم^٢) . ومع ذلك لا تنفذ إلى البحر ، ولا تلامس أمواجه حدودها ، وإنما تغطي الكشبان الرملية فيها ، وتتصل بالبلاد العربية فتحدها من الشمال الجمهورية العربية الليبية ، كما تجاورها من الشرق السودان ، وأما من بقية الجهات فتحاذي دولاً إفريقية عديدة منها النيجر ، ونيجيريا والكاميرون من الغرب ، وجمهورية إفريقيا الوسطى من الجنوب .

تميل أرض تشاد بشكل عام نحو الجنوب الغربي ، يدل على ذلك اتجاه المياه من مختلف الجهات نحو بحيرة تشاد التي أخذت البلاد اسمها ، وتتألف من سهل رسوبي واسع ، تحيط به المرتفعات من جميع الجهات ففي الشمال تنتصب كتلة تيبستي البركانية عند حدود ليبيا ، حيث ترتفع أكثر من ٣٤٠٠ م في إيمي قوصي .

موفي الشرق مجموعة من الكتل منها واداي ، وترتفع إلى أكثر
 من ١٢٠٠ م ، وكتلة عنيدي ، ومن الجنوب توجد كتلة ملغي -
 أبو ضيا ، وبين هذه الكتل عتبات تكون طريقاً للمواصلات
 تصل بين تشاد من جهة وليبيا والسودان وإفريقية الوسطى من
 جهة ثانية . أما من الجنوب فتأخذ المياه طريقها في نهري شاري
 ولوغون ، وكل هذه المياه تجري نحو بحيرة تشاد ، التي تقع في
 الجنوب الغربي وتتقاسمها مع نيجيريا وجمهورية النيجر ، وقد كانت
 هذه البحيرة ذات رقعة أوسع انتشاراً مما هي عليه الآن ، يدل
 على ذلك وجود الغضار البحيري ، وأصداف وهياكل أسماك كانت
 تعيش في مياه عذبة ، ويظهر أن البحيرة كانت تمتد نحو الشمال
 الشرقي حتى منطقة بوركو وسفوح كتلة نيبستي ، وتشمل منخفض
 بودلي الذي لا يزال يتصل مع بحيرة تشاد بواسطة بحر الغزال .
 ويرتفع سطح البحيرة إلى ٢٧٠ م عن سطح البحر . ويظهر
 أن البحيرة لم تكن قديماً إلا سلسلة من البحيرات ، وحالياً
 نجد في الشمال الشرقي من بحيرة تشاد أماكن لا تعلو عن البحر
 أكثر من ٢٠٠ م . وهذه البحيرات كانت في الأصل واحدة ،
 ولكن هجوم الكشبان الرملية من الشمال الشرقي قد طمو أجزاء من

تلك البحيرة وقطع بينها ، ويلاحظ كثرة الاختلاف في ارتفاع سطح البحيرة بسبب قلة العمق ، حيث لا يزيد أكبر عمق عن ٥٠ م وغالباً ما يساوي المترين ، كما أن التبخر على سطح البحيرة شديد بسبب شدة الحرارة ، وفي حالة الفيضانات تبلغ مساحة البحيرة ١٥ ألف كم^٢ ، وتنقص عن ذلك في الأحوال العادية ، ونجد أنه في صيف عام ١٩١٤ م كانت مساحة البحيرة لا تزيد عن ١٠ آلاف كم^٢ ، بينما هي قد اتسعت فوصلت إلى ١٨ ألف كم^٢ عام ١٩١٦ م ، وأكثر الضفاف تعرجاً هي الشمالية الشرقية أي منطقة كاخ . وكثيراً ما تختفي البحيرة عن الأنظار بسبب النبات الذي ينتشر على أطرافها وخاصة القصب الذي يصل ارتفاعه إلى ٦ - ٨ م ، وتغطي هذه النباتات ١٠/٤ مساحة البحيرة ، أما نظام المياه فيتبع الأمطار والحرارة إذ أن التبخر يسلب ٥٠ ٪ من ماء البحيرة سنوياً ، أما الأمطار فلا تقدم إلا ١/٤ الماء المجموع في البحيرة ، ويقدم نهر شاري ولوغون ٣/٤ كمية المخزون في البحيرة .

والمنطقة التي كانت تغطيها البحيرة قديماً تعتبر اليوم المنطقة الحصبة في البلاد ، وهي السهل الرسوبي الذي يؤلف الجزء الجنوبي الغربي ، وتؤول إليه مياه السهل ..

ويمكننا أن نقول: إن بحيرة تشاد عرضة للانطمار والتقطع
بسبب كثرة اللحيات التي تحملها إليها الأنهار أثناء فيضانها ،
وبسبب مهاجمة الرمال التي تحملها الرياح الشالية الشرقية ، والتي
كانت فيما مضى سبباً في تقطع البحيرة ، كما أن هناك عاملاً مهماً ،
وهو ذهاب مياه نهر لوغون نحو نيجيريا عن طريق نهر بينوئي ،
وهذا يحدث الآن أثناء الفيضان ولكن في المستقبل ستصبح مياه
نهر لوغون بأكملها تتجه نحو الغرب في كل المواسم ، وستترك
طريقها نهائياً نحو بحيرة تشاد ، ويصبح نهر لوغون رافداً من
روافد نهر بينوئي ، يحدث هذا عندما يستطيع نهر بينوئي أن
يأسر نهر لوغون ، وهذا الأسر يحدث الآن تدريجياً .



تمتد البلاد من خط عرض ٨ - ٢٢ درجة شمال خط الاستواء ،
 ووعلى هذا فهي تقع ضمن مناخي السودان والصحراء ، فالمناخ

السوداني كما هو معروف يمتد بين خطي عرض ٨ - ١٨ درجة ،
والصحراوي بين خطي عرض ١٨ - ٣٠ درجة .

ويمتاز المناخ السوداني بوجود فصل جاف هو فصل الشتاء ، وفيه
يتوقف نمو النباتات ، أما فصل الصيف فهو موسم المطر الذي يبلغ
معدله السنوي أكثر من ٥٠ سم ، وعلى هذا تتوافق الحرارة
مع الرطوبة وهو ما يلائم النمو ، فتتمو الحشائش الطويلة التي
يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار والتي تعرف باسم السافانا الطويلة ،
ويتناقص هذا الطول للحشائش بالتقدم نحو الشمال حيث تقل فترة
المطر ، وتعرف الحشائش هناك باسم السافانا القصيرة ، أما على
ضفاف الأنهار فتتمو الأشجار العالية التي تشبه إلى حد ما الغابات
الاستوائية ، وإن كانت تترك بينها مسافات ترتفع فيها الحشائش .
وتتصرف مياه الأمطار بعد أن تتجمع في أنهار شاري ولوغون
والروافد العديدة التي ترافدها بالمياه ، وتتجه هذه المجاري نحو
بحيرة تشاد .

أما المناخ الصحراوي فهو شمال المناخ السوداني حيث تكون قد
تناقصت فترة الأمطار لدرجة أنها انعدمت ، وهنا لا نجد أثراً
للنبات اللهم إلا تلك النباتات التي قلت سطح أوراقها حتى أصبحت

أشواكاً ، ونمت عقب زخات المطر النادرة أو في مجاري السيول ،
التي تشبعت تربتها بالمياه ، ثم هناك الواحات التي يقوم فيها
الإنسان والنبات على عيون ضحلة ، أو مياه جوفية يستخرجها
الإنسان .

وبلاد تشاد حارة كلها بوجه العموم ولكن ترافق هذه الحرارة
رطوبة الجنوب ، وتتناقص تدريجياً نحو الشمال ، حتى تصل إلى
المنطقة الجافة تماماً في الصحراء ، وليس هناك من رياح بحرية
تعديل ذلك الجفاف فتكسبه شيئاً من الرطوبة ، حيث كلها
شمالية شرقية جافة ، لأنها تهب من القارة ، فلا تحمل معها إلا
الرمال التي استطاعت أن تقطع البحيرة ، وتفصل بين أجزائها
فتكونت عدة بحيرات ، وهذه الرياح دائمة صيفاً وشتاءً وهي
الشرقيات التي تهب من عروض الحيل إلى خط الإستواء ، أو
من منطقة الضغط المرتفع المداري نحو منطقة الضغط المنخفض
الاستوائي وبسبب دوران الأرض تنحرف في اتجاهها نحو اليمين
فتصبح شمالية شرقية . والأمطار التي تهطل على الجزء الجنوبي
من البلاد من نوع المطر التصاعدي حيث ترتفع درجة الحرارة
في فصل الصيف بسبب تعامد أشعة الشمس على المنطقة فتسبب

المزيد من التبخر ويرتفع بخار الماء في الجو وعندما يصل إلى الطبقات العالية يتبرد فينعدد مطراً وهذه الأمطار هي سبب غنى المنطقة الجنوبية ، وسبب فيضان الأنهار في فصل الصيف ، ولا يعود دوام جريان الأنهار في الجنوب إلى هذه الأمطار الصيفية وإنما إلى ما تلتقاه في مجراها الأعلى من مياه الأمطار الدائمة في المناطق الاستوائية .

ينبع نهر شاري من جمهورية إفريقيا الوسطى ، ويتلقى المياه من المرتفعات التي توزع المياه بين النيل والكونغو وشاري ، ويسير نحو الشمال الغربي وعند وصوله إلى الحدود ، ينضم إليه نهر أوك الذي يسير الحدود بين تشاد وإفريقية الوسطى ، ثم لا يلبث أن يلتقي بنهر كيتا عند مدينة فورت^(١) أرشامبول ، وهذان الرافدان وكل الروافد الأخرى التي يتلقاها عن يمينه إنما هي أنهار أشبه بالسيول حيث تجري فيها المياه في فصل الصيف عقب هطول الأمطار ، أما في الشتاء فتكون أشبه بالجافة ، ولكن الأنهار التي يتلقاها عن يساره تكون دائمة الجريان حيث تمتد مجاريها العليا حتى تصل إلى المناطق الدائمة المطر ، وأهم هذه الأنهار نهر أوهام الذي يلتقي بنهر شاري عند مدينة قلعة أرشامبول .

(١) - فورت كلمة فرنسية تعني القلعة .

وينبع نهر لوغون من جمهورية إفريقيا الوسطى أيضاً ، وتأتيه مياه الأمطار الدائمة مما يمكنه الوصول إلى البحيرة ، وبشكل الحدود بين تشاد والكاميرون ، وعند مدينة قصيري^(١) يلتقي بنهر شاري حيث يتابع مجراها سيره نحو بحيرة تشاد .

وفيضان نهر شاري يبدأ من مدينة فورت أرشامبول على بعد ٥٠٠ كم عن بحيرة تشاد ، ويكون هذا الفيضان بطيئاً ، ويرتفع ببطء زائد وذلك بسبب ضعف انحدار الأرض ، وعلى الرغم من أن أعظمي الأمطار يكون في شهر آب ، فإن الفيضان لا يكون في منطقة الطوفان وفي البحيرة إلا في تشرين الأول ، ويمكن لمستوى الماء أن يبلغ ٧ أمتار عند مدينة قصيري على بعد ١٠٠ كم من بحيرة تشاد ، وفي هذه الفترة تنتشر المياه الفائضة في الأطراف الجافة وفي الدخلات التي هجرتها المياه منذ أمد طويل فتغرقها ، وتقلبها إلى مستنقعات واسعة تنتصب خلالها أكواخ السكان التي أقيمت على التلال والعلوات من الأرض ، فأصبحت عقب الفيضان أشبه بالجزر المبعثرة ، كما أن هذا النهر لا يبدأ

(١) - قصيري الاسم العربي الإسلامي لعاصمة تشاد اليوم . وهي التي عرفت بعد الاستعمار باسم فورت لامي .

فصل الجفاف إلا ويكون قد انقلب إلى سلسلة من الرامات والمستنقعات الصغيرة ، ويكون له دلتا واسعة مشتركة مع مياه نهر لوغون .

وكلما اتجهنا إلى الشمال كانت المجاري المائية عبارة عن سيول تجري مياهها عقب الأمطار ، ثم لا تلبث أن تجف ، وهذه السيول إما أن تغض في الرمال أو تصل إلى منخفض بودلي والسهل الرسوبي ، ولا تزال بعض البحيرات قائمة في المنطقة ، وتؤول إليها بعض المياه مثل بحيرة فيتر التي تقع شرق مدينة قصيري .

تاريخ تشاد

إن تاريخ منطقة تشاد يكاد يكون مجهولاً حتى الفترة التي شاع فيها نور الإسلام ، حيث سطع شعاع الحضارة فجلاً تاريخ تلك المنطقة ، وتوضحت معالمه ، وهكذا يبدو ، رغم معاندة الخصوم ، أن المدنية والحضارة والتقدم ، إن هي إلا ظل للإسلام تساييره حينما انتشر، وترافقه أنى سار ، وإن حاول الخصوم أن يلبصقوا به في كل مناسبة الرجعية والتأخر ، وليست هذه الحرب على الإسلام حرباً جاءت عرضاً أو أوجدتها ظروف معينة ، وإنما تخطيط لأغراض عديدة يجثم وراءها أعداء ماكرون، ويكمن خلفها خصوم مخادعون يعرفون بأعمالهم الدنيئة ، وتشير اليهم أفعالهم الخبيثة ، ويظهر هؤلاء الخصوم بأثواب متعددة :

(١) - المستشرقون وهم غالباً من أصحاب عقيدة أخرى ، يدفعهم إلى ذلك تعصبهم الشديد ، وأطماعهم الاستعمارية، فيلبصقون

به كل تهمة ، وينعتون به كل ذميمة ، تنشر أقوالهم ، وآراءهم دولهم الاستعمارية ، وتوزعها في جميع أرجاء العالم ، بما تملك من امكانيات ضخمة ، فتعم تلك الأفكار ، وبخاصة بين أولئك الذين لا ينظرون إلى النور إلا من رجل الغرب .

(٢) - عملاء : باعوا أنفسهم وضمائرهم لدول أجنبية ، فلا يتكلمون إلا بوحى منها ، ولا ينطقون إلا بما تليه عليهم أعلامها ، وأخبارها « ومن يتوهم منكم فإنه منهم » المائدة ٥٤ .

(٣) - منحرفون : أغوتهم الشهوة ، فأضلت عقولهم ، وسلبت تفكيرهم ، فلا يبحثون إلا عن الجنس ، وهؤلاء يقفون دائماً ضد الإسلام الذي يمنعهم أن يطلقوا العنان لشهواتهم تفتك بأعراض الآخرين ، وتنهش حرمان غيرهم ، فالإسلام يقيد حريتهم ، ويجعلها تقف إذا مست حريات الآخرين أو حرمانهم ، ويعرفهم أن الحرية المطلقة ، لا وجود لها ، لأن الحرية المطلقة معناها انقلاب الحياة إلى حياة بهيمية ، وهم يدعون فعلاً إلى التحرر من كل القيود الدينية والأخلاقية ، كما ينادون بالبعد عن كل فضيلة جاء بها الدين ؛ ويسيطر هؤلاء على جزء من الصحف والمجلات ، ويشرفون على برامج إذاعية وتلفزيونية ، فينشرون أفكارهم من

خلالها ، فيتلقفها أصحاب النفوس الضعيفة التي تأمرهم بالسوء
والفحشاء فينقادون لها « إن النفس لأمارة بالسوء » يوسف ٥٣ .
« رأيت من اتخذ إلهه هواه » الفرقان ٤٣ .

(٤) - كبار أغوتهم الشهرة ، فلا يفكرون إلا بالسلطان ،
ولا ينتطحون إلا للسيطرة ، وهؤلاء يحاربون الإسلام الذي يقف
أمام أطماعهم وطواغيتهم ، ويحارب استبدادهم .

ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء جماعة من البهلاء ضعاف النفوس
الذين لا يفكرون ، وإنما يكتبون بتوديد ما يردد الناس أمامهم ،
ويتأثرون بما تنطق أجهزة الاعلام ومناهج التعليم الموجهة ، التي
لا تبحث إلا بما يريده أصحاب الهوى .

ثم هناك الجملاء الذين لا يعلمون شيئاً ويسIRON كيفية يؤمرون ،
وأخيراً الأعداء الذين يظهرون في ثياب الأولياء يحاولون خداع
الناس بما يظهرون وهم في حقيقةهم أعداء ماكرون .

هؤلاء جميعاً يلتقون على محاربة الإسلام ، ولكنهم لا يجروئون
مطلقاً على التصريح بأرائهم مباشرة لأن هذا يثير حفيظة المسلمين ،
ورغم أن أكثر المسلمين اليوم قد أصبحوا مسلمين نظرياً إلا أن
العقيدة تتحرك في نفوسهم ، والتدين فطرة في الإنسان ، لذلك

يسلك الأعداء طريقاً ملتوية لمحاربة الإسلام ، تخفى على البلاء فيصدقونها ، وتظهر لأولي الألباب فيمقتونها ، هذه الطريق هي أن يحاربوا أصحاب الفكرة الإسلامية وهم موجودون بطبيعة الحال كرد فعل لتلك الفئات التي ذكرناها آنفاً ، والمعركة قائمة بين الحق والباطل منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ، ولا يزول الحق ما دام هناك باطل ، لذلك لا يمكن أن تزول الحركة الإسلامية حتى ولو زال خصومها « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » والأعداء يعرفون ذلك ويريدون أن يسيطر الباطل وينتصر على الحق ، ولكن محاربة الحق قاسية ، ولا يجوز الباطل على إظهار نفسه فيلبس ثوباً يتراءى على غير حقيقته لضعاف الإيمان ، فيخدعهم ، ويدعي الأعداء أنهم لا يحاربون الإسلام بل يزعمون أنهم مسلمون ، وإنما يحاربون الفئة الإسلامية من ناحية سياسية ، ويحاولون أن يظهروا أصحابها وقادتها بكل مظهر سيء ، وينعتون إليهم كل موقف فيه عدم الاخلاص ، كما ينعتون كل إنسان يظهر التدين أو يعطف على المسلمين بصفته السياسية « وما نقيموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، وذلك حتى يبعده عن الإسلام دون أن يشعر ، ولكن شبابكم لا تنال إلا ضعيف الإيمان

أو عديم التفكير ، لأن المسلم الصحيح لا يبالي بأي شيء ،
ما دام يعرف نفسه أنه على حق ، وعندما تعجز دعايتهم أمام قوة
المسلمين ، تبدأ الأبواق تكيل لهم التهم ، وهنا تكون التجربة ،
وهنا تكون الهزيمة ، فإما أن يضعف الانسان ويجبن ، ويسير
مع التيار ، وتكون له العاقبة الوخيمة ، - والعياذ بالله - وإما
أن يثبت ويزداد قوة على قوته ؛ ويكون له حسن الدار مع
الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً .

ونتيجة لهذه الحرب الضارية ضد الإسلام ، وسيطرة الأعداء
على أهم المواقف نشأ جيل لا يعرف من الإسلام شيئاً ، وهذا
ما يسهل على الأعداء تلقف هؤلاء الجهلاء والسير بهم إلى
حيث يشاؤون .

عاش العرب في جزيرتهم تجماراً ، ولما دخلوا في الاسلام
انطلقوا مجاهدين في سبيل الله ، فتمت على أيديهم الفتوحات ،
حتى إذا ركبت ، واستقر الفاتحون في أماكنهم التي وصلوا إليها ،
عادوا إلى مزاوله مهنتهم الأولى وهي التجارة ، وخاصة أولئك الذين
قطنوا إفريقية ، ورأوا بيئة تشبه البيئة التي خرجوا منها ، وتلازمت
التجارة والدعوة ، وإذا كانت الفتوحات قد ركبت ، فإن

الدعوة لم تهدأ في قلوب أولئك الذين وهبوا أنفسهم لله ، وخرجوا من ديارهم في سبيله ، وإذا كانت الفتوحات الكبرى قد ارتبطت بالسياسة العامة ورأي الدولة ، فإن الدعوة رهينة بالنفوس ، مرتبطة بالضاير التي لا تلبث أن تثور إن رأت في صاحبها شيئاً من الفتور ، وممرت طلائع الدعوة مع التجار ، الذين لم يكونوا تجار مادة ، وإنما كانوا دعاة ، يتخذون من التجارة مجالاً للاتصال بالأفراد ، وباباً لظهار حقيقة الاسلام أمام أولئك الذين يجهلون ، وطريقاً لتبيان خلق المسلم ومعاملته وأمانته ومماحته أمام أولئك الذين لا يعرفونه ، وما كانت العلاقة تتم بين التاجر المسلم وسكان منطقة ، حتى تثويق العلاقة بين القلوب ، وإذا بنداء الايمان ، يخرج من الأعماق ، فتستجيب له ، وتلي دعوة الله ، وإذا بها ترتبط بمكة مهبط الوحي ومنبت محمد ﷺ ، وإذا بينها وبين كل مسلم في أرجاء الأرض صلة وثيقة ، لا تزول إن زالت الصلات ، وتفككت الأواصر .

وكثر طرق التجارة في الصحراء ، وتغلغل أولئك الدعاة في قلب هذه المنطقة القفرء ، يجدون في السير ؛ ويطلبون

هداية الناس على أيديهم ، وتم اعتناق جماعات من سكان الصحراء
للدين الجديد .

كانت هناك أحداث جسام تهز المجتمع الإسلامي في كيانه ،
وكان إثر كل حادثة ينطلق رجال حط القدر من مكانتهم ،
ينطلقون متخفين من السيف الذي يطلب رؤوسهم ، ويمعنون في
البعد ، يريدون المنأى والأمان وعندما تحط بهم الرحال تتوق
نفوسهم لإعادة ما فقدوه ، ولم لا ؟ وقد ضربوا أكباد الابل ،
وشقوا على أنفسهم عناء السفر والتخفي ، وما يفعل ذلك إلا
أولو البأس والشدة ، وهم أهل للحكم ، ولم لا ؟ وهم أبناء الأسر
التي دكت عروشها ، وقد صار إليها العز لكفاءتها ، وليس
غريباً أن يفكر في السلطة من كان لها أهلاً . وإثر كل حادث
تنطلق أعداد من الرجال ، أو تنتقل قبائل بأكملها ، تفر من
وجه من هو أقوى منها بأساً ، وأشد مراساً ، وما أكثر
الأحداث التي مرت على المجتمع الإسلامي .

دخلت قبائل بني هلال المغرب ، ففرت من وجهها قبائل
توغلت في الصحراء ، وقامت دولة الموحدين ، فترك لهم أسلافهم
المرابطون المنطقة ويمعوا وجههم نحو الجنوب . وسقطت الدولة

الفاطمية في مصر ، فاتحه أنصارها نحو السودان . وسقطت دولة
العباسيين في بغداد ، ومن قبلها انهار الأمويون في دمشق ففر
الاتباع يطلبون النجاة ، واستولى الاسبان على الأندلس ثم على
شعور المغرب ؛ فخاف الناس وذهبت كل قبيلة تطلب لها منزلاً
في البيداء . وعقب كل حادث ينتشر الإسلام من جديد على أيادي
النازحين ، وكان الإسلام إذا أصابه ضربة في الشمال ، استعاض
عنها بنصر في الجنوب .

ويتوصل بعض النازحين إلى السلطان ، أو يسلم بعض زعماء
القبائل ، وفي كلتا الحالتين يتبنى الأمير الدعوة إلى الله ويعمل
لنشر الإسلام ، ولم يمض وقت طويل حتى تتكاثر الحفنة المؤمنة ،
فتنفق نفوسهم إلى تكوين ذلك المجتمع المسلم ، الذي يعدهم به
الإسلام ، وترنو أفئدتهم إلى تكوين تلك الدولة التي يدفعهم
إليها الايمان ، والتي يحلم بها كل إنسان ، حيث لا فرق بين
الألوان ، ولا تمييز بين الأجناس ، ولا تفضيل في المراكز ،
ولا تشاحن ولا بغضاء ، لا تنازع ولا فسوق ، لا ظلم ولا
اغتصاب ، يعيش المرء ويشعر أنه يعيش بين ظهري إنسانية
حققة ، لا بين محالب وأنياب ، ووحوش وذئاب ، فتهدأ النفوس ،

وتطمئن القلوب ، وتعرف السعادة التي يحلم بها بنو البشر ، لذلك استعد المسلمون ، فأقاموا عدة بمالك إسلامية في تشاد كان أهمها :

(١) - مملكة كانم : ومركز هذه المملكة شمال شرقي بحيرة تشاد ، وقد حكم هذه المملكة أسرة سيف من عام ٨٠٠ - ١٨١٠ ، وقد ظلت هذه المملكة فترة على الوثنية ، وتعتبر هذه الفترة من التاريخ غامضة تماماً ، وقد دخل إليها الإسلام في أواخر القرن الحادي عشر ، وكان أول الأمراء الذين اعتنقوا الإسلام يدعى (أوم) ، وقد حكم البلاد بين ١٠٨٦ - ١٠٩٧ م ، وفي عهد الملوك الملقبين (ماي) وهم الذين خلفوا الملك (أوم) ، انتشر الإسلام في عهدهم انتشاراً واسعاً ، وذلك بعد انتصارات حربية على الشعوب الوثنية ، وهي شعوب (تيدا) في الشمال ، و (صوص) في الجنوب ، وقد شملت هذه المملكة بلاداً كثيرة ، فقد كانت تمتد هذه المملكة من النيجر غرباً ، وتضم جزءاً من بلاد الحوصا ، وتصل إلى منطقة وادّاي شرقاً ، كما شملت كافة الصحراء التي استعانوا على فتحها بحكام تونس من الحفصيين .

وفي عام ١٣٨٦ م عمّد قوم (بولالا) وهم أخـلاط من

«العرب ومن التشاديين إلى إسقاط حكم هذه المملكة ، وبقيت الحرب قائمة بين الطرفين حتى أوائل القرن الخامس عشر ، قتل خلالها أربعة ملوك لدولة كانم ، وأخيراً هرب حكامها إلى بورنو غرب بحيرة تشاد وشرق بلاد الحوصا ، وهنا أسسوا لهم مملكة جديدة كان من أهم قبائلها الكانوري ، وهم خليط من العرب والبربر والزنوج ، وفي منتصف القرن الخامس عشر استطاع علي دوناما الذي حكم ١٤٧٢ - ١٥٠٤ م أن يهاجم البولالا ، وأن يعود إلى كانم ، وابتدأ الازدهار لهذه المملكة مرة أخرى في أيام الملك إدريس الثالث الذي يعرف باسم إدريس الونة ، وقد حكم البلاد ١٥٧١ - ١٦٠٣ م ، وقد وسع حدود المملكة ، ومنذ ذلك الوقت تعرف هذه المملكة باسم مملكة كانم .

وأخيراً تدهور الحكم ، وفي هذه الأثناء هاجمت قبائل الفولاني بزعامة عثمان دانفوديو^(١) واحتلت بورنو ، وأصبحت بلاد الحوصا

(١) - يعتبر عثمان دانفوديو أحد دعاة الإسلام وكذا كان أحفاده من بعده ، منهم المرحوم أحمد وبيللو الذي قتل بالوأمرة الصليبية الصهيونية في مطلع عام ١٩٦٦م ، أما عثمان فقد توفي في سنة ١٨١٦م ، وقبره في مدينة سوكوتو ، وقسمت مملكته بين ولديه .

كلها تحت حكمه ، وقد فرض الإسلام على القبائل الوثنية .
 واستدعى أهل كانم الشيخ محمد الأمين الكائني عام ١٨١٠ م ،
 وهو من أب عربي وأم كائنية ، وقد ولد في فزان جنوب ليبيا ،
 فتولى الحكم وأنهى حكم أسرة سيف ، ووقف في وجه قبائل
 الفولاني ، وصد هجومهم ، وبني عاصمة له في كوكا ، وسار في
 البلاد سيرة حميدة ، ساعده على ذلك معرفته بالشريعة الإسلامية
 التي تلقى علومها في الأزهر في بلاد مصر . ولكن الأمور لم
 يطل فقد عاد الضعف إلى الحكم ، واستطاع الأمير رابح مولى الزبير
 باشا أن يدخل البلاد ، كما استطاع دخول منطقة بورنو . وبقي
 في الحكم حتى عام ١٩٠٠ م ، حيث جاء الفرنسيون ، واحتلوا المنطقة .
 وأهل كانم على المذهب المالكي ، يتعاملون بالقماش الذي
 ينسجونه في بلادهم ، ويعرف بأمم دندي ، أما جندهم فيتأثمون ،
 ولا يرون ملكهم إلا أيام العيد ، ولا يكلمه أحد إلا من وراء
 حجاب .

(٢) - ملكة واداي : لقد تأخر دخول الإسلام إلى هذه
 المنطقة بسبب وعورتها ، فأمكن للفئات غير الإسلامية أن تعتم
 فيها ، كما أن الأسرة الحاكمة قد بقيت على الوثنية حتى القرن

السادس عشر ، وهذه الأسرة هي التنجور ، وقد جاءت من جنوب تونس ، بعد أن دخلتها قبائل بني هلال ، ووصلت دار فور وهي منطقة منعزلة في السودان ، واختلطت فيها بشعب الداجو الأسود الذي جاء من المشرق ، وسيطر على المنطقة ، وأسس مُلكاً له فيها ، ونشأ من اختلاط التنجور والداجو شعب جديد هو الفور ، ثم طردت قبيلة التنجور من البلاد ، فاتجهت نحو الغرب ، وسيطرت على منطقة وادّاي ، وبقيت فيها حتى دخلها الإسلام .

إن أول الملوك المسلمين هو السلطان عبد الكريم ، وهو من أب سوداني من بلدة شندي شمال الخرطوم وقد حل ضيفاً ، وصارت له الكلمة ، ثم أصبح سلطاناً على المنطقة عام ١٦١٢م ، وتولى بعده ابنه عروة الذي أسس مدينة جديدة جعلها مركز حكمه ، ثم انتقل مركز المنطقة إلى أبيشه ، وقد كانت هذه المملكة تخضع لسلطان دارفور ، ولكنها استقلت عنها نهائياً في أواخر القرن السابع عشر ، وقد خمل ذكر هذه المملكة ، ولكنها عادت للازدهار في عهد الملك صابون عام (١٨٠٥ - ١٨١٥م) ، وتولى بعده أخوه محمد شريف صالح ، ثم ابنه علي ، فقويت

الدولة ، وتنشط مرافقها ، ثم حدث نزاع بين أفراد الأسرة ،
وتدخل الفرنسيون لنصرة أحد الأطراف .

(٣) - مملكة باغيرمي : وقد تأخر دخول الإسلام إليها
بسبب الموقع البعيد عن المؤثرات الشمالية التي جاء منها الإسلام ،
وأول السلاطين المسلمين هو السلطان بريمي ، ولعله محرف عن
إبراهيم ، وقد كان حكمه في أوائل القرن السادس عشر
ازدهرت هذه المملكة في عهد السلطان الحاج محمود الأمين
(١٧٥١م - ١٧٨٥م) ، وفي عهد هذا الملك عم الإسلام بلاد
باغيرمي كافة ، وفي عام ١٨٠٦م خضعت هذه المملكة لسلطان
واداي ، ثم ضمها الشيخ محمد الأمين الكافي إلى مملكته ، ولكن
عادت لها قوتها عام ١٨٤٦م ، ولم يلبث أن هاجمها ملك واداي
عام ١٨٧٠م ، وأخيراً ضمها الأمير رابع إلى سلطانه عام ١٨٩٢م ،
وبقيت تحت حكمه حتى جاء الفرنسيون ودخلوها عام ١٩٠٠م .
ومن هذه الممالك أيضاً مملكة مانغا شمال غربي بحيرة
تشاد .

ولا بد هنا من ذكر لمحة عن الأمير رابع الذي لعب دوراً كبيراً في هذه المنطقة .

كانت تجارة العاج في القرن التاسع عشر معروفة في مصر ، بل لتعتبر من أوسع وأنشط أنواع التجارة هناك ، وهذا ما حدا بكثير من التجار أن يتجهوا نحو الجنوب ، ويتوغلوا في غابات جنوب السودان طلباً لهذا النوع من البضاعة ، ولصيد أنواع أخرى من الحيوانات ، منها الفيلة والجواميس وكان لابد من ذهاب هؤلاء التجار على شكل جماعات مسلحة ، لتقي نفسها من هجمات القبائل ولتدفع عنها خطر الوحوش ، وكانت الحيل واسطة نقل هذه الجماعات ، وكان كل تاجر يبني لنفسه كوخاً من أغصان الشجر ، يختص فيه ، ويعرف باسمه ، يجمع فيه ما اصطاد ، ويكس ما جمع . وكان يعمل مع أحد هؤلاء التجار - ويدعى أبو عموري - شاب طويل القامة ، فصيح اللسان ، مبال للخير ، قوي الإيمان ، متحمس للإسلام ، يعرف باسم الزبير .

وفي عام ١٨٥٧ م ثارت بعض قبائل الجنوب الزنجية على التجار المسلمين ، وهاجمت مراكرهم وأكواخهم ، وكادت تقضي عليهم ، وهنا تظهر بطولة الزبير الذي استطاع أن يقف في وجهه الزوج

وبصدهم ، فاحتفى به التجار ولاذوا به ، وقدموه عليهم ، حتى إذا هدأت الحال ، ذاع صيت الزبير ، وطارت شهرته ، وأصبح من التجار المرموقين ، وبدأ في أعماله التجارية يتنقل بين الشمال والجنوب ، ويختلط بالسكان ، ويكثر من معاملاته ، فأحبه الناس لإيمانه واستقامته وورعه وتقواه ، وتزوج من قبائل الجنوب ، ولم تكن له غاية في الزواج ، ولكن كان أمله كبيراً في أن يقضي على الوثنية في الجنوب ، واتخذ من زواجه وسيلة ليعرفهم بالإسلام ، وعن طريق زوجته التي أسلمت - ولا يعرف صفة المرء مخلوق أكثر من زوجته - كما سلك طريقاً أخرى وهي أنه كان يفندي أولئك الذين حكم عليهم ملوكهم بالقتل ، ويضمهم إلى جنده ، كما يجمع الجنود من المرتقة ، ويربي الجميع تربية إسلامية ، ويخصهم بالعناية دون سواهم ، مما جعل خاصته يقدونه بأرواحهم ، وهم حاول المستعمرون والزنج أن يتخلصوا من هذا الداعية المسلم ، فلم يفلحوا لثقتهم بالله واعتماده عليه ثم على جنده الذين أولوه كل محبة وتقدير .

ولكن كثرة الشائعات المغرضة بدأ التخوف من الزبير ، وبدأت الخصومات تقع بينه وبين أطراف أخرى شجعها المبشرون ،

وأوقد نارها الحاقدون ، وحصل صدام بين الزبير وبين قبائل
نيام نيام ، ثم وقع نزاع بينه وبين ملك قولو ، وفيه انتصر
الزبير الذي لم يجد بداً من أن يعلن نفسه ملكاً على بحر الغزال ،
واتخذ من بلدة بابة مقراً له وعرفت فيما بعد باسم دويم الزبير ،
وتقع في أقصى جنوب غرب السودان قريبة من حدود جمهورية
إفريقية الوسطى .

كيف لا ينتصر والله غايته في كل أمر يقوم به ، وفي أي
عمل يفكر فيه . جلس الزبير على سدة الحكم ، وبدأ بحكم
ملكته بالكتاب والسنة ، وألف مجلساً للشورى من إثني عشر
قاضياً ، بعد أن أخذ عليهم عهداً أن يقدموا له النصيح والإرشاد ،
وأن يردوه عن أي عمل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ، وبدأت
الحملات تشن عليه من مختلف الجهات الاستعمارية والتبشيرية ،
وليس هذا غريباً فهذا شأن الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان
حيث لا يمكنها أن تتعايش مع الدعوات الإلحادية التي تتناقض
في جوهرها ومبادئها معها ، واليوم نسمع كثيراً من هذه الإشاعات
والأكاذيب عن الحركة الإسلامية أينما وجدت ، يطلقها المستعمرون
ويوردونها وراءهم المنحرفون ، وأشاع المبشرون أنه يعمل نخاساً ،

وما مقاومتهم له إلا في سبيل القضاء على النخاسة والرقى : قرأ
الزبير في كتاب الله : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا
من هذه القرية الظالم أهلها)^(١) فأخذ على نفسه عهداً بالجهاد في
سبيل الله لإنقاذ المستضعفين .

فتح الزبير دار فور وبلاد قبائل الزرقيات ، وبدأ يطبق فيها
ما طبقه في بحر الغزال من حكم للإسلام وتنفيذ لشعره . ثم
اتجه نحو تشاد وطلب من ملك واداي أن يستسلم ، وهنا يأتيه
الطلب من خديوي مصر أن يعود ، ففعل ، وكانت المنطقة تتبع
بأكملها مصر إسمياً ، وكانت الفتوحات كلها باسم مصر ، وإن كان
المنفذ والمشرف والحاكم هو الزبير ، ومصر بدورها تتبع الخلافة
الإسلامية آنذاك وهي الدولة العثمانية ، ولا يصح أن تكون
خلافتان في أرض الإسلام .

وقع خلاف بين الزبير وبين إسماعيل أيوب حاكم السودان ،
أضرم ناره الحاسدون ، فاضطر الزبير أن يذهب إلى مصر لمقابلة
الخديوي ، بعد أن ترك مكانه ابنه سليمان مع فئة من القادة

(١) النساء الآية ٧٤ .

الخلاصين منهم الأمير رابع ، وبعد مقابلة الحديوي أذن له بالعودة ، ثم عدل عن رأيه تحت ضغط الإنكليز ، فأرسله للحرب ضد الروس ، الذين كانوا يغيرون على الدولة العثمانية ، وبنهاية الحرب رجع إلى مصر ، فوجد الدسائس تحاك ضده ، ووجهت إليه التهم أنه يتعاون مع المهديين ، فاعتقل ونفي إلى جبل طارق ، وبقي هناك عامين ونصف العام تحت إشراف الإنكليز وبصرهم ، وبعد انقضاء المدة عاد إلى مصر ، وبقي فيها حتى مات عام ١٩١٤م ، ولكنه قام بزيارة عابرة للسودان بعد أن انتهت الحركة المهدية ، وليس غريباً ما حدث للزبير فأصحاب الدعوات معترضون في كل زمن للمحن والامتحان ، والمصائب والبلاء . ولم يكن هذا ليثني الزبير عن عزمه ، بل بقي في حماسه يتحمل المشاق ، وكلما حلت به نازلة زادته إيماناً ، فالإنسان الذي لا يتحمل التبعات في سبيل فكرته ليس بصاحب دعوة ، وأولاهها بذلك الدعوة الإسلامية « حفت اللجنة بالمسكاره وحفت النار بالشهوات » .

أما ابنه سليمان وإخوانه فقد تعرضوا أيضاً للمؤامرات الصليبية الاستعمارية التي ما فتئت تقف في وجه التيار الإسلامي فلم تفلح ، فما كان منها إلا أن ضغطت على أبيه الزبير في مصر فكتب

إليه ينصحه بالاستسلام ، بعد أن ضمن من الأعداء له الأمان ،
ولكن الغدر من شيم الحاقدين ، فقتلوا سليمان مع سبعائة من أتباعه
في ١٤ تموز ١٨٧٩م ، ولما رأى الأمير رابع ما حل باخوانه ،
سار نحو تشاد في ألف فارس ، واستطاع أن يفتح منطقة واداي ،
وأن يصل إلى جنوب بحيرة تشاد ، وأن يقيم في ديكوا (١)
حكومة اسلامية ، تسير حسب الشريعة الإسلامية ، وضم إليه
مملكة باغيرمي ١٨٩٢م كما ضم كانم وبورنو ، وكانت قد قامت الثورة
المهدية في السودان ، فأرسل إليه المهدي الرسالة تـلـو الأخرى
يعرض عليه الانضمام للحركة المهدية ما دام الهدف واحداً ، وهو
تطبيق الاسلام ، والسير على نهجه ، ومقارعة الاستعمار . ولكن
الأمير رابع كان سيئ النية بأوضاع السودان ، فاكتفى بتأييد
الحركة المهدية ورفع شعارها وهو « لا إله إلا الله والله أكبر
وثة الحمد » ولم تطل فترة حكم الأمير رابع حتى ابتدأت المعارك
مع الفرنسيين وكان هذا طبعياً لأن القوى الصليبية الاستعمارية

(١) - ديكوا مدينة تقع اليوم في شمال شرق نيجيريا وفي غرب
مدينة قصيري على بعد يقدر بـ ٢٠٠ كم ، وهذا يدل على أن الحدود
ليست كما هي اليوم وإنما كانت دولة واحدة ...

لا يمكن أن تنتظر الدعوة الإسلامية حتى تتمكن ، ولا تمهل
دولة تقوم على الإسلام ، فما استقرت حكومة الأمير رابح
الإسلامية حتى جن جنون المستعمرين والمبشرين وطار صوابهم ،
وأرسل الفرنسيون الحملة تلو الأخرى ، ولما لم تغلح أرسلوا ثلاث
حملات بقيادة القائد الفرنسي لامي الذي قتل في إحدى المعارك
على أبواب مدينة قصيري ، أما الأمير رابح فقد جرح ، ثم توفي
متأثراً بجراحه عام ١٩٠٠ ، وتولى ابنه فضل الله بعده ، وإن انتصر
على الفرنسيين في بعض المعارك إلا أنه قتل في النهاية ، واستطاع
الفرنسيون دخول تشاد عام ١٩٠٩ ، ولكن المقاومة بقيت ،
وأخيراً استطاعت فرنسا الانتصار على المقاومة في معركة عين
جالا عام ١٩١١ ، وهنا يظهر حقد الأوروبيين على الإسلام ، لا على
غيره ، وهدفهم هو لا سواه ، فكان أول عمل قام به الفرنسيون
أن جمعوا علماء المسلمين الذين يمكن أن يلتف حولهم الشعب ،
وقضوا عليهم في مذبة رهبة ، عرفت باسم مذبة كبكب ، حيث
كان القتل بالساطور ، أوروبي الفرنسيون غلبهم ، وكان عدد هؤلاء
العلماء أربعمائة عالم ، جمعوا من أنحاء البلاد كافة ، وسيقوا
إلى مدينة أبيشة ، وهناك كان مصرعهم عام ١٩١٧ ، ولم تستطع

فرنسا من السيطرة على المناطق الشمالية إلا عام ١٩٣٠ حيث اتخذت ثكنات عسكرية في « زوار » و « فور » و « أوزو » . ثم تتبعوا أئمة المساجد ومعلمي القرآن حتى أخرجوهم من البلاد ، ووضح أن في هذه المذبحة من الحسة والدناءة ما يعطينا الدليل على أن الحرب الدائرة اليوم ليست سوى حرب صليبية تقتسر بامم الاستعمار والمصالح الاقتصادية . وتحليداً لهذا الحقد ، وذكرى للقائد الفرنسي المقتول ، فقد استبدلت البلدة التي قتل بها القائد الفرنسي وهي قصيرى اممها ، وأخذت امم قلعة لامي (فورت لامي) وجعلت عاصمة المنطقة ، ورغم زوال الاستعمار فلم يعد لهذه البلدة اممها القديم ، ولم تستبدل الاسم الحاقده بعد .

وهكذا نجد أن الاسلام انتشر في تشاد عن طريق التجارة والحكومات والأمراء .

كما أن العثمانيين كان لهم بعض الأثر ؛ ولا تزال القلاع العثمانية ماثلة إلى الآن في شمال البلاد ، مثل فايا وغرداية و... وكما أن هناك طرقاً أخرى انتشر فيها الإسلام وهي الطرق الصوفية والدعوات والأفراد .

فالدعوة السنوسية ساهمت في نشر الاسلام ، فقد استوطن

أفراد من السنوسيين في واحات الصحراء . وخاصة في منطقة واداي وزاد عددهم بشكل واسع ، لقد كانوا يشترون العبيد ، ويرسلونهم إلى واحة جغبوب^(١) وهناك يتعلمون مبادئ الدعوة فإذا أخذوا كفايتهم من العلم ، أعتقوهم ، وأعادوهم إلى أوطانهم ، كي ينشروا الإسلام بين إخوانهم ، كما بذلوا جهداً ليدخلوا في الإسلام قبيلة بيلي التي تسكن بلاد عنيدي الجبلية شرق بوركو وكانت لا تزال على الوثنية ، كما نشطوا عندما نزلوا في شعب تيدا في بلاد تيمستي فقد نجحوا في تعليمهم الإسلام ، بعد أن كانوا مسلمين نظرياً ، وفي عام ١٨٨٤ كان للسنوسيين أكثر من مائة رباط^(٢) محصن

(١) - واحة تقع في الجزء الشمالي الشرقي من ليبيا قريبة من حدود مصر ، وقد كان استقرار محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧ - ١٨٥٩) مؤسس الدعوة السنوسية فيها ، بعد أن منعه الفرنسيون من دخول الجزائر عام ١٨٣٧ .

(٢) - الرباط هو المكان الذي يتحصن فيه المجاهدون في سبيل الله على الثغور ، ومنه تخرج الغزوات ، والرباط مأخوذة من قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ثم أصبحت هذه الكلمة تعال لكل مكان يقصد منه الجهاد سواء الغزو ، أو الدعوة ، فيعتبر السنوسيون مركزهم « رباطاً » يدعون فيه إلى الإسلام .

بشكل خاص من غورو إلى بوركو ، وفي منطقة عنيدي ،
بوتيبستي ، ومن فايا إلى كانم .

كما أن بقية الطرق لعبت دورها ، ولها أتباعها مثل التيجانية
والقادريّة والمرغنية ، وإن كانت دون السنوسية بكثير ، وخاصة
أن السنوسية كانت لها حتى عهد قريب حكومة من خلفها
تقربها وتدعمها ، وهي ليبيا التي لها فضل في نشر الإسلام
في إفريقيا .

تقع تشاد في وسط إفريقية ، في منطقة كانت ملتقى الأجناس
من العرب والبربر والزنج ، فمن جهة الشمال انحدر العرب
والبربر يحملون معهم رسالة الإسلام واللغة العربية ، ومن الجنوب
جاء الزنج ينتشرون نحو الشمال ، وهكذا كان الشعب التشادي
مزيجاً من الساميين والحاميين وخليطاً من البيض والسود ، كما التقى
في تلك البقعة المسلمون بالوثنيين ، وساهمت التجارة في زيادة الاحتكاك
حيث كانت تشاد مركزاً لالتقاء القوافل والطرق التجارية من
الشمال والغرب والشرق والجنوب ، وأخيراً جاء المستعمر وجاءت
معه ديابته .

تزداد نسبة العرب والبربر في الشمال ويقلون في الجنوب ،

حيث يكثر الزوج جنوب خط عرض ١٢ ، وكذا فإن الإسلام الذي يؤلف نسبة كبيرة ، وإن كانت هذه النسبة تنخفض في الجنوب فإن الاختلاط بين هذه الأجناس والتزاوج بين القبائل جعل من الصعب التمييز بينها ، وبفضل الدعوة إلى الإسلام انتشر بين الزوج وغيرهم على حد سواء ، ونشأ التزاوج الذي جعل الاندماج مع المسلمين يسير سيراً منتظماً . وبما أن الصحراء تؤلف قسماً كبيراً من أرض تشاد فلا تزال الحياة القبلية تلعب دورها ، ويمكننا تمييز عدة قبائل وشعوب منها .

بيلي : وتسكن في الشمال الشرقي في منطقة عنيدي الجبلية ، وتدين بالإسلام الذي أخذته بفضل السنوسيين .

تيدا : ومنازلها في الشمال في بلاد تيبستي وتدين أيضاً بالإسلام البودوما : وتعيش في الجهات الشمالية والوسطى من البحيرة ، وتعتنق هذه الجماعات الإسلام أيضاً .

التيبو : وهم رعاة إبل في الشمال ، ويتحملون العطش ، ويدينون بالإسلام ، ويصلون إلى ليبيا في ترحالهم .

شوا : وتعيش في وسط بلاد تشاد وجنوب شرق

البحيرة ، ويمتنعون تربية الحيوانات من أغنام وأبقار ، وقد تحضر بعضهم ، وهم مسلمون .

كوتوكو : وهم مريج من الزوج والعرب ، وإن كانت الصفات الزوجية هي الغالبة عليهم ، والظاهرة في ملاحظهم ، وقد اعتنقوا الإسلام ، ويمتنعون حالياً صيد السمك وتجارته ، ويصنعون سفناً كبيرة لذلك ، كما أن نساءهم تقوم بتجفيف الأسماك على شواطئ الأنهار ، إضافة لهذه المهنة يقومون أيضاً بالزراعة على التلال وفي السهول بعد انتشار طمي الفيضان عليها ، ويزرعون الدخن والذرة والرز والقطن ، ويتجمعون في قرى يحيط بها جدر مميكة من الطين ليس لها إلا أبواب ضيقة ، وتخلو تماماً من النوافذ ، كما أنه في وسط القرية يقوم برج عال للمراقبة .

سارا : وهم في الجنوب ، وينتشرون في جمهورية إفريقية الوسطى ، وهم خليط من الزوج والحاميين والعرب ، ويتصفون بطول القامة حيث يبلغ المعدل الوسطي ١٨٠ سم ، كما يمتنعون الزراعة . ومنهم من اعتنق الإسلام ، ومنهم من دان بالنصرانية والفرع الأخير هو الحاكم في تشاد ، وإليه ينتمي رئيس الجمهورية تومبالباي .

الكانوري : وهم من الزنوج ، وقد اختلطوا بالعرب ، ودخل
نقسم منهم بالإسلام ، ويقومون بالزراعة في منطقة باغيرمي ، كما أنهم
يعملون بالتجارة ، وعندهم خبرة ومهارة فيها ، والتجارة بأيديهم
وأيدي الحوصا .

الحوصا : وينتشرون في الوسط ، وتعتبر مهنتهم الرئيسية التجارة
ولهم مهارة فيها ، ونفوذ كبير بين القبائل التي اتصلت بهم ، وقد
أصبحت لغتهم هي لغة التجارة في السودان الغربي ، وجميعهم من
المسلمين ، وحيثما ذهبوا نقلوا معهم الدين الإسلامي ، وينتشرون من
سواحل غينيا حتى مصر .

الجهل : وينتشرون في الوسط ، وهم من أصل عربي ، ويعملون
في الرعي ، واعتنق أكثرهم الإسلام ، وإن بقي منهم عدد قليل
على الوثنية ، وقد استقر بعضهم ، وأقام في قرى ومدن يقال لها
فيللاتا ^{Fellata}

الزنوج : ونجد بعضهم لم يختلط مع غيرهم ، واحتفظوا بالصفات
الزنجية تماماً نتيجة للعزلة التي فرضوها على أنفسهم في جبال ملغي
وأبو ضيا . وكما أنهم احتفظوا بالجنس ، فقد حافظوا أيضاً على
ديانتهم ، فبقوا على الوثنية . ويتكاثفون في هذه المنطقة ، ويمتنعون

الزراعة على المصاطب الجبلية ، كما ينحدرون إلى السهل لتقوم
زراعتهم على الري ، ويتجمعون في بيوت اسطوانية ، وإلى جانب
البيوت ، تقوم مخازن الحبوب ، والبناء من الطين بشكل
عام ، وقد بدأوا يهجرون الجبل إلى السهل ، ووصل بعضهم حتى
نيجيريا والسودان .

وهناك مناطق يختلط فيها البدو مع الحضرة كما هو الحال
في إقليم وادي ، كما يختلط العرب الرحل مع البقارة في وادي.
أيضاً وكانهم .

وإضافة إلى هذه المجموعات توجد مجموعات أخرى كثيرة ،
منها السكان القدامى مثل البولالا ، والتاما ، والأرنجا ، والموسجو ،
والقرعان وغيرهم .



يبلغ عدد سكان تشاد ٤ ملايين نسمة ، تقرب نسبة المسلمين فيهم من ٨٥ بالمائة ، وقد أوصلتهم بعض المصادر إلى ٩٢ بالمائة ، بينما تقول نشرات التبشير أنهم لا يزيدون عن ٥٠ بالمائة ، وهي لا شك غير سليمة النية ولا يمكن الركون إليها ، فالغرض معروف من تقليل هذه النسبة ، فهم يحاولون قصارى جهدهم أن يحوا الفكرة الشائعة من قديم وهي أن البلاد إسلامية ، ويفتحون بذلك باب الأمل بإيجاد أغلبية غير مسلمة ليفيدوا من ذلك من الناحية الدينية والسياسية ، ويكثر المسلمون في المناطق الشمالية ، ويقولون في الجنوب حيث يسيطر المبشرون الذين يضعون العراقيل المختلفة في وجه انتشار الإسلام ، ويخشون زحفه من الشمال نحو الجنوب ، حتى إنهم يراقبون حركة الانتقال بين الشمال والجنوب التي لا تقل صعوبتها عن الانتقال من دولة إلى أخرى معادية لها . ويوجد أقل من نصف مليون من الوثنيين والذين يعتقدون بالأرواح ، ويقصدون الأشباح ، ويقولون بوجودها في المناطق المظلمة ، كما يوجد بعض الآلاف من المسيحيين الذين اعتنقوا هذه الديانة منذ أن لوّث الاستعمار هذه البقعة ، وسيطر عليها ، وأطلق يد المبشرين في العمل ، وأمدهم بكل ما يحتاجون فكانت مراكزهم ذات أهمية كبيرة . ويتضايق المبشرون من

الأكثرية الإسلامية الموجودة في العاصمة ففي عام ١٩٦٢ كان عدد سكان مدينة قصيري (فورت لامي) ٩٠ ألف نسمة منهم ٨٠ ألف من المسلمين . والمساجد كثيرة في البلاد ، ففي ابيشة يوجد جامع السلطان الذي أنشئ عام ١٠٧٦ هـ ، وفي قصيري يوجد المسجد الكبير الذي بني عام ١١٧٦ هـ ، والأهالي هم الذين ينفقون على هذه المساجد ، والدولة لا تقدم شيئاً في سبيلها ، وإنما تقف في الصف المعادي لها ، كما أن هناك جمعيات إسلامية كثيرة ذات أثر في الحياة العامة ، فتوجد الهيئة التشادية الإسلامية ، وجمعية الشباب المؤمن في العاصمة ، وجمعية الفقهاء في ابيشة وهناك ناد للثقافة الإسلامية في العاصمة ، كما توجد جمعيات خيرية مثل جمعية الأخوة التشادية ، والجمعية التجارية الوطنية ، وكل هذه الجمعيات إنما نشأت تقريباً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . ويلعب العلماء أيضاً دوراً رئيسياً في تمثيل الشعب الذي يلتف حولهم ، ويعتبرهم قاداته الشرعيين ، ويذهب أغلب هؤلاء العلماء للدراسة في الأزهر ، وقد لاحظ الفرنسيون عندما دخلوا البلاد أثرهم ، لذلك عملوا على القضاء عليهم ، ورأينا كيف دبروا لهم مذبحة كبكب الشهيرة ، وتقصوا الآخرين حتى أخرجوهم من البلاد . ويؤلف الإسلام رابطة قوية بين السكان الذين يتبعون مذهب

الإمام مالك ، وقد شجع الأمير رابع الأخذ به . واللغة السائدة هي العربية ، ويتحدث بها أكثر من ٩٠ بالمائة ، وهي لغة التعليم في الدراسة الدينية ، فوجد في ابيشة مدرستين عربيتين أسسها الشيخ ابراهيم جباي خليل الذي درس في كلية الشريعة في الأزهر . أما في المدارس الرسمية التي كانت تشرف عليها الحكومة فلا تدرس اللغة العربية إلا كلغة ثانوية ، حيث اللغة الرسمية هي الفرنسية ، والمدارس الدينية كثيرة مثل معهد ابيشة الديني الثانوي ، والمعهد الاسلامي الابتدائي في العاصمة ، والمدرسة الابتدائية في مدينة فورت ارشبول التي تدوس علوم الشريعة .

والدولة لا تعطي المنح إلا المدارس التي تتقيد بالبرامج الرسمية ، لذلك لا تتال المدارس الاسلامية أية مساعدة منها كان نوعها ، والأهالي هم الذين ينفقون على هذه المدارس ، ويشرفون على إدارتها ، ويسهرون على تنظيم شؤونها . وقد اضطهد التعليم الاسلامي منذ جاء الاستعمار حتى لم يعد المسلمين إلا عدد قليل من المدارس المنظمة ، منها المعهد الديني في مدينة ابيشة الذي افتتح عام ١٩٤٦ ، والذي يحاربه الفرنسيون منذ تأسيسه ، حتى أغلق أخيراً في عام ١٩٥٣ ، ولكن الحكومة اضطرت الى فتحه

مرة أخرى تحت ضغط الأهالي ومطالبة السكان وذلك في عام ١٩٥٧ ، ولكنها وضعت تحت إشرافها ، وهي اليوم تتولى شؤونها .

وقد مهدت فرنسا إلى إبقاء المسلمين في جهل تام ما أمكنها ذلك ، وبما أنهم هم الأكثرية الغالبة لذلك لم تكن لثمت بالتعليم ، وكانت المدارس قليلة بشكل عام مما يلفت النظر ، ففي سنة ١٩٥٨ لم يكن في البلاد إلا ١٥٤ مدرسة إبتدائية فقط ، ولم يكن في المدارس الثانوية إلا ٤٦٧ طالباً ، ويوجد مدرسة ثانوية واحدة ، وثلاث مدارس مهنية ومعهد للمعلمين ، وبرامج هذه المدارس جميعاً مشابهة للبرامج الفرنسية ولم يحظ بالتعليم الغربي إلا أولئك الذين اعتنقوا الديانة المسيحية .

وكذلك تنتشر اللهجات السودانية المحلية في جهات مختلفة من البلاد . ويبلغ عدد اللغات في تشاد ١١٨ لغة .

الحياة الاقتصادية

تعتبر تشاد بلداً متخلفاً ، وهي تعتمد على المعونة الفرنسية لسد عجزها وتموين بعض مشاريعها ، وأهم نشاط السكان هو الزراعة التي لا تزال بدائية ، حيث لم تدخلها بعد الآليات الزراعية الحديثة ، ثم هناك تربية الماشية وصيد الأسماك .

وإذا كانت المنطقة الشمالية صحراوية ، لا يجود فيها سوى النخيل في واحاتها المتعددة ، فإن المنطقة يمكن زراعتها في بعض الأقسام والاعتماد في ذلك على مياه الآبار ، أو إقامة المشاريع ، وزراعة الحنطة هي التي تناسبها ، ومع فقر هذه المنطقة فإن فيها ثروة حيوانية ضخمة ، فجميع القبائل الرحل ونصف الرحل التي تعيش في الشمال تربي الأغنام ذات الصوف الطويل ، وقد بلغ عدد أغنامها أكثر من مليوني رأس عام ١٩٥٨ إضافة إلى مليوني رأس من الماعز ، و ٣٠٠.٠٠٠ رأس من الإبل ذات الوبر الطويل ، والتي تعتبر واسطة النقل الوحيدة في تلك الصحراء الواسعة .

أما المنطقة الجنوبية فهي المنطقة الزراعية حيث تهطل الأمطار في فصل الصيف ، وتكفي كميتها لقيام بعض أنواع الزراعات ، كما أن المياه الجارية يمكن الاستفادة منها في أعمال الري ، ولو أقيمت المشاريع على هذه الأنهار لأمكن زيادة الفائدة من المحاصيل الكثيرة التي تنتجها ، وأهم الزراعات الموجودة حالياً هي :

١ - القطن ويعتبر الموسم الرئيسي الموجود في البلاد حيث يعطي ٨٠٠٠٠ طن ، أي ما يقارب الانتاج السوداني من هذه المادة ، ومعظم هذا القطن ، يصدر إلى الخارج ، إذ الصناعة القطنية غير موجودة ، وفرنسا هي البلد الذي يستورد هذا الصنف من المحاصيل دون غيرها .

٢ - الرز وهو المحصول الغذائي الأساسي ، وتزرع أنواعاً عديدة منه ، وتقدم (٢٥٠٠٠٠) طن ولا يصدر منه شيء حيث يستهلك محلياً .

٣ - ثم هناك الدخن والذرة والبقول السوداني إضافة إلى المواد التي مر ذكرها من النخيل والحنطة ، ويوجد بعض منتجات البلاد الحارة وان كانت قليلة الأهمية مثل الموز وجوز الهند والكاكاو . وإلى جانب الثروة الزراعية الموجودة في الجنوب نجد

ثروات أخرى منها تربية الأبقار حيث المراعي الطويلة متوفرة ،
وتناسب تربية هذا النوع من الحيوانات . وتصدر تشاد الأبقار إلى
نيجيريا ، كما تصدر الجلود ، وتعتمد إفريقيا الوسطى والغابون في
تأمينها باللحوم على جمهورية تشاد . ثم هناك الثروة السمكية حيث
الصيد في بحيرة تشاد والأنهار المتجهة إليها ، وتقدر هذه الكمية
بـ (٨٠،٠٠٠) طن من الأسماك ، ثم هناك الثروة الغابية التي لم تمس
بعد ، وهي في الجنوب .

أما الثروة المعدنية فلا يمكن الحديث عنها ، حيث إن
الأرض التشادية لم تدرس بعد دراسة جيولوجية ، لذلك لا يعرف
ما تحبثه أرض تشاد من معادن وقوى محركة في جوفها ، وربما
ظهر البترول في تلك الصحراء التي هي امتداد للصحراء الجزائرية
والليبية والتي دلت على غناها العظيم بهذه المادة وتشير الدلائل
على وجود معدن الأورانيوم بكثرة .

كذلك لا توجد في تشاد صناعة بالمعنى الحقيقي فزعم توفر
القطن إلا أنه لا تقوم عليه أية صناعة نسيجية ، بل إن فرنسا
حاولت أن تقف في وجه هذه الصناعة ، لتحسب استيراد القطن
إلى معاملها ، علماً بأن بلادها تعجز عن تأمين أية كمية
صغيرة كانت أو كبيرة ، وجل ما في تشاد معمل
لاستخراج الزيت من بذور القطن ، وآخر من فسق

العبيد ، ومعملين لقشر الرز في العاصمة . وهناك مدابغ للجلود التي تفيض عن حاجة البلاد ، وتصدرها .

والمواصلات متأخرة جداً ، فلا يوجد في طول البلاد وعرضها أي خط حديدي ، والملاحاة النهرية غير مؤمنة إلا في فصل الأمطار . والطرق المعبدة قصيرة جداً لا تتناسب مطلقاً مع اتساع المنطقة ، فلا يزيد طولها عن (٣٠٠ كم) ، كذلك فالطرق التي تصلح في كل الفصول قليلة لا تتعدى (٥٠٠ كم) .

والميزان التجاري يشير إلى وضع البلاد المتأخر ، فلا ينفك يسجل خسارة في كل عام حيث بلغت الصادرات عام ١٩٥٨ م (٥١٧٠) مليون فرنك ، بينما بلغت الواردات في ذلك العام (٦٦١٠) مليون فرنك . والوحدة النقدية هي الفرنك التشادي الافريقي . ويمكن للحالة الاقتصادية أن تتقدم إذا نفذت بعض المشاريع الإروائية ، ومدت طرق المواصلات ، وكذلك إذا انتهت الدراسة الجيولوجية للبلاد ، ودلت على وجود كمية من الثروة المعدنية التي يمكن الاستفادة منها لتطوير البلاد ، وخاصة البترول والأرانيوم .

الحياة السياسية

بدأت الاكتشافات الجغرافية الأوربية في القرن الخامس عشر، وكانت البرتغال أولى الدول التي اتجهت نحو إفريقية، وكان الدافع الأول لها هو حصار المسلمين لإمكان القضاء عليهم، وإخراجهم من المغرب بعد أن أخرجوهم من الأندلس، والوصول إلى المشرق لمساعدة الأحباش في حروبهم مع المسلمين حيث كانت في تلك الفترة على أشدها^(١)، وكانت التجارة تشجعهم، لذلك لم تدخل البرتغال إلى قلب القارة الافريقية وخاصة إن سكان المناطق الشمالية من المسلمين، وإنما اقتصر على تأسيس مراكزها على الساحل كما أن المناخ السيء والغابات الكثيفة حالت كلها دون الولوج إلى الداخل، وخاصة بالنسبة إلى أولئك الأوربيين الذين ألفوا المناخ البارد أو المعتدل البارد، وهذا ما منعهم أن يدخلوا بعد إذ جاءتهم

(١) يمكن الرجوع إلى أريتريا والحبشة من هذه السلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في افريقية العدد / ٥

الموارد متكدسة إلى الساحل ، وعندما حاول فاسكو دي غاما عام ١٤٨٢ التوغل في داخل القارة شعر بالمرض فأمرع بالعودة ، وعلى هذا بقي قلب إفريقيا بعيداً عن الأيدي الاستعمارية ، وبعد تشاد عن الساحل آخر وصول المستعمر إليها . فعاشت في مأمن بعيدة عن بلاء الاستعمار فترة من الزمن

وبعد تأسيس المراكز التجارية لم يطمئن الأوروبيون لسكان الساحل الذين يخالفونهم في العقيدة ، فعرفوا أنهم مدحورون أمامهم في النهاية ، طال الأمد أم قصر . لذلك فكروا في إقامة جمعيات تبشيرية لكسب جماعات من الأفريقيين إلى دينهم ، يمكنهم الاطمئنان إليهم ، وعندها تآمن السيطرة الصحيحة للأوروبيين في إفريقيا ، وعلى هذا قامت جمعيات تبشيرية واستعمارية في كل من فرنسا وانكلترا ، كان من غايتها الوصول إلى قلب إفريقيا ، حيث بدأت دول هذه الجمعيات تتطلب مواداً أولية لمعاملها وأسواقاً جديدة لبضائعها . وتبطل المادة عادة أهلها فتعميهم عن أهدافهم وغاياتهم الأساسية التي يخططون من أجلها ، وفي عام ١٨٢٣ م وصل (كلايتون) إلى بحيرة تشاد قادماً من الشمال من طرابلس الغرب ، ثم وصل (بارت) الألماني من الجنوب عام ١٨٥٠ م ، ثم جاءت بعثات فرنسية قادمة من الغرب لتقف أمام تقدم الدول الأخرى ، ولتسد عليهم الطريق ، وبدأت

المنافسة بين هذه الدول الاستعمارية الثلاث ، وفي عام ١٨٨٠ أرسلت فرنسا (دي برازا) الذي أسس مدينة برازا فيل ليتقدم من الغابون فتوغل داخل المنطقة ، وطلب من الحاكم الفرنسي في السنغال أن يساعده ، فأرسل اليه حملة لكنها هزمت أمام قوة تشاد التي كان يتزعمها الأمير رابح - وكان وصوله حديثاً إلى تلك المنطقة - ثم أرسلت حملة أخرى بقيادة (بول كراميل) عام ١٨٩٠م وهو يعرف المنطقة ، فقد زارها عام ١٨٨٨م ، فنزل في الغابون وعقد معاهدات مع سلاطين الغابون والكونغو والابانجي ظاهرها التجارة وحقيقتها الاستعمار ، وبعد أن استولت الحملة على هذه المناطق اصطدمت بقوات تشاد ، فاندحرت ، وقتل قائدها كواميل ، ولما رأى الفرنسيون والانكليز والألمان ما أصابهم أنهموا خلافهم^(١) ، ووجدوا أن النصر كامن خلف اختصاص كل بمنطقة يدافع عنها بكل قوته ، فاتفقوا فيما بينهم ، واقتسموا المنطقة عام ١٨٩٣م ، وكانت بحيرة تشاد نقطة التقاء الحدود التي صنعها المستعمرون ، والتي فصلت بين نيجريا والكاميرون وتشاد والنيجر ، أو بين مناطق نفوذ هذه الدول الاستعمارية الثلاث .

(١) ليت قومي يعلمون ويستفيدون من حوادث التاريخ .

وجاءت حملة من باريس بقيادة أميل جونتي ، وبقيت المعارك مدة ٧ سنوات متواصلة أبدى خلالها سكان تشاد من الشجاعة النادرة في جهادهم ضد الفرنسيين ، ودفاعهم عن دينهم ضد أعدائهم ما يحولهم أن يكونوا قادة الأبطال . ولما فشل الفرنسيون في حروبهم هذه ، قدمت حملات ثلاث بقيادة لامي ، وكانت المعارك سجالاً بين الطرفين ، وفي إحدى المعارك على أبواب مدينة قصيري ، قتل القائد الفرنسي ، وجرح الأمير رابع جروحاً بليغة ، مات بعد فترة متأثراً بجراحه وذلك عام ١٩٠٠ م ، واستطاعت القوات الفرنسية أن تحتل عاصمته ديكوا ، وقام من بعد الأمير رابع ابنه فضل الله بحمل راية الجهاد ، واستطاع استرداد ديكوا ، ولكن النصر عاد في النهاية إلى جانب الفرنسيين فاحتلوا العاصمة ، وقتلوا الأمير فضل الله ، وسيطروا على المنطقة عام ١٩٠٩ م ، وانتصر الفرنسيون على المقاومة بعد معركة عين جالا عام ١٩١١ م . ثم ضمت فرنسا منطقة بوركو إلى هذا الإقليم ، وأطلق على المنطقة اسم تشاد ، وضمت إلى إفريقية الإستوائية الفرنسية التي شملت إضافة إلى تشاد الغابون والكاميرون والكونغو وإفريقية الوسطى . واتصلت المستعمرات الفرنسية مع بعضها ، حيث كانت تهدف

الدول الأوروبية وخاصة انكلترا وفرنسا والبرتغال الى وصل
مستعمراتها مع بعضها .

ورسمت الحدود بين تشاد وليبيا عام ١٩١٩م ، باتفاق بين
فرنسا وإيطاليا الدولتين المستعمريتين للبلدين .

أراد الفرنسيون أن يستقروا في البلاد ، فلم يجدوا عدواً
لهم كالإسلام ، ورأوا أن السيف وحده هو الذي يذل الرقاب ،
ويخضع النفوس ، ورأوا الأمة تجمع حول علمائها ، وتلتف حول
أئمتها ، فجمع الفرنسيون العلماء من مختلف الجهات ، وكان الجمع
على أساس الإستشارة والبحث في الامارة ، وكانت وراءها الحديعة
التي يجثم الغدر خلفها ، وجاء أصحاب الرأي يمثلون البلاد ، التقوا
في ابيشة مركز إقليم واداي عام ١٩١٧م ، وجاء أربعائة عالم ،
ودفنوا عدداً لا يحصى من القطع مزقهم الساطور أداة التنكيل في
القرن العشرين وأطلق على هذه المذبحة كبكب ، وهو اسم يدل
على معنى شامل للنكبة . ونادى الفرنسيون أنهم بهذه الوسيلة قد
قضوا على الرجعية وأوكلارها ، وقد آن للبلاد أن تتحرر من كل
قييد يفرضه الدين والأخلاق ، وعلى هذا تتبعوا جميع معلمي
«القوآن ، والمرشدين ، وبقية العلماء الذين لم تطا لهم مذبحة كبكب

حتى أخرجوهم من البلاد ، واعتبروا هذه بداية الثورة على الرجعية ، ولكن إن أوقفوا المذابح الجماعية فقد تابعوا محاربة الإسلام واتخذوا في ذلك طريقين .

١ - مباشر : وهي الدعاية ضد الإسلام ، والفئات التي تنادي به ، وقادة الحركة الإسلامية ، فاعتبروها تمثل الرجعية وكلها دخيلة على المنطقة جاءت من بلاد ثانية ، وأرادت الاحتفاظ بمركزه ، فأخذت من وجود الإسلام ذريعة لبقائها ، وأن العالم لم يعد بحاجة إلى الاعتقاد بالديانة البالية .

٢ - غير مباشر : وهي نشر المفاسد والدعاية للانحلال والاختلاط والسفور فقد ساهم الفرنسيون في نشر الخدرات والخمر ، وشجعوا الحفلات الخلاعية ونشر الصور العارية والأفلام الموجهة ، وهذا كله يدعو إلى التحرر من الدين .

كما عمل الفرنسيون على إبقاء المسلمين في حالة من الجهل والفقر يفتابهم المرض ويصيبهم العذاب . فلا يدخل المدارس التي تشرف عليها الحكومة ، أو المستشفيات التي يشرف عليها المبشرون وهي وحيدة في البلاد إلا الذين اعتنقوا ديانة فرنسا ، وكانت سياسة فرنسا تقتضي بامتصاص كل مجموعة مثقفة من سكان

تشاد إلى فلك الثقافة الفرنسية ، حتى لا تخلق لنفسها مشكلة ثقافتين متباينتين إحداهما إسلامية والأخرى غربية ومشكلة وجود عدد من المثقفين من سكان البلاد ، يطالبون بالمساواة مع الفرنسيين ، أو المطالبة بالاستقلال في المستقبل . كما سارت فرنسا على سياسة التمييز بين الفرنسيين والتشاديين تمييزاً يعتمد على اللون والتعالي ، والسيد والمسود ، وهذا التمييز يصل إلى الفروق في الرواتب بين الموظفين وأجور العمال والرتب العسكرية وكل نواحي الحياة .

وكذلك منعت القوات الفرنسية التشاديين من تأليف أحزاب سياسية وطنية خشية من سيطرتها وزيادة نفوذها في المستقبل ، فكانت تريد أن توجه هذه الأحزاب من باريس ، لذلك عمدت على أن تكون الأحزاب القائمة في تشاد فروع للأحزاب السياسية الموجودة في فرنسا وكانت أهمها :

١ - الحزب الراديكالي : ويتولى رئاسته في تشاد فرانسوا

مبالاي . . R. D. E. A.

٢ - الحزب الاشتراكي : وهو الذي يرأسه في فرنسا غي مولييه

ولكن فقد هذا الحزب أهميته حيث لم يعد له أحد من الموالين وخاصة بعد عام ١٩٥٨ م إلا الأجانب المؤيدين لسياسة فرنسا .

٣ - حزب أوديت : ويرأسه في تشاد السيد رتليس

٤ - الحزب الوطني التشادي ويرأسه السيد أحمد

وبقيت أوضاع تشاد تسير بشكل عادي حتى الحرب العالمية الثانية لا يختلف حكم تشاد الفرنسيون عن فواعة مصر في شيء في ظلهم .

وفي عام ١٩٣٥ م عدت الحدود بين ليبيا وتشاد ، دخلت بموجبها الأقسام الشمالية من جبال تيبستي ضمن ليبيا ، ولكن لم تنفذ بنود هذه المعاهدة .

بدأت الحرب العالمية الثانية ويحكم تشاد غواد الوب ولم تلبث حكومة فرنسا أن سقطت أمام المانيا ، وتشكلت في فرنسا الجنوبية حكومة مركزها مدينة فيشي ويرأسها الجنرال بيتان ، وتوالي المانيا . ولم يعترف بعض الفرنسيين بهذه الحكومة ، ففروا إلى انكلترا وهناك تشكلت حكومة برئاسة الجنرال ديغول وسميت باسم حكومة فرنسا الحرة ، وقد أعلن حكم تشاد تأييدهم للجنرال ديغول بعكس الوضع في مراکش والجزائر وتونس

وسوريا ولبنان والهند الصينية وبقية المستعمرات الفرنسية التي أعلنت كلها ولاها لحكومة فيشي ، وهكذا توقف التقدم الالاماني نحو قلب إفريقيا ، وقد عقد ديغول عام ١٩٤٤م مؤتمراً في برازفيل ، واعترف فيه بحق الافريقيين بأن ينالوا حياة أفضل ومنع النظام الذي كانت تسود فيه السخرة ، كما زار تشاد والقي خطاباً في مكان لا يزال يحمل اسمه حتى اليوم .

وقد اشترك سكان تشاد في الحرب العالمية الثانية بعد ما مناهم ديغول بالألماني المعسولة ، وكانت تشاد مركزاً لتموين الجيوش الحليفة التي حاربت في الصحراء ، ومنها انطلقت القوات التي دخلت ولاية فزان في ليبيا ، وطرابلس الغرب وتونس وقد طبق في تشاد عام ١٩٤٤م نظام بلاد جمهورية فرنسا لما وراء البحار ، وانتخب أول مجلس نيابي فيها عام ١٩٤٧م ، وأقامت أول حكومة برئاسة رجل من الهند واسمه غبريل ليزبت جاء إلى البلاد موظفاً إدارياً ، ثم عمل بالسياسة ، وألف حزب التشاديين التقدميين .

وعرض ديغول دستوره عام ١٩٥٨م ، وطلب من المستعمرات التصويت عليه فالمستعمرات التي توافق عليه تصبح ضمن مجموعة

الشعوب الفرنسية ، وتحصل على الاستقلال الذاتي مباشرة ، ويتساوى سكانها مع الفرنسيين في المجالس والقوانين ، وتصبح المستعمرات التي ترفضه منفصلة عن فرنسا ، وعندها تضطر فرنسا إلى أن تقطع عن تلك المستعمرة جميع المساعدات المالية والاقتصادية والفنية ، وأجرى الاستفتاء على الدستور في ٢٨ / أيلول ١٩٥٨م وكانت النتيجة لصالح فرنسا ، وأصبحت تشاد حسب الدستور الديغولي دولة ذات استقلال ذاتي عام ١٩٤٩م ، وحلت إفريقية الإستوائية الفرنسية .

أجريت الانتخابات في ١٥ / نيسان / ١٩٥٩م ، ففاز الحزب الراديكالي وحزب أوديت وبعدها ائتلف الحزبان وشكلا ماسمي الحزب التقدمي التشادي ، ونال هذا الإئتلاف جميع مقاعد الجمعية التأسيسية ، وعددها ٥٨ مقعداً ، وشكل السيد فرانسوا تمبالاي الوزارة وهو رئيس الحزب الراديكالي سابقاً ، بينما أصبح السيد غبريل ليڤريت نائباً لرئيس الوزارة هو رئيس حزب أوديت سابقاً ، وفي آب أصبحت تشاد جمهورية مستقلة ، ووضع دستور للبلاد ، ثم قبلت جمهورية وتشاد في هيئة الأمم المتحدة وذلك في ٢٠ / أيلول / ١٩٦٠م ثم عدل الدستور في تشرين الثاني في نفس العام وبوجهه أصبحت

اللغة الفرنسية هي الرسمية ، كما أصبحت السلطة التنفيذية بيد رئيس الجمهورية الذي يشغل أيضاً منصب رئيس الوزارة ، وينتخب من قبل الجمعية العمومية ، وأعفى السيد غبريل ليزيت من جميع المناصب التي كان يشغلها وبقي السيد فرانسوا تمبالباي زعيم للحزب الحاكم ، ثم جرى تشكيل الوزارة فضمت ستة عشر وزيراً قسموا إلى قسمين : ثمانية مسلمين وثمانية غير مسلمين - بين وثنيين ومسيحيين - وكان هذا التقسيم في حد ذاته هو ظلم وإجحاف بحق المسلمين إذ أن عددهم لا يتناسب مع هذا التقسيم كما ذكرنا سابقاً ومن الوزراء المسلمين الذين شغلوا مناصب وزارية :

- ١ - ابانسرو : وزيراً للداخلية .
- ٢ - محمد عبد الكريم : وزيراً للدفاع .
- ٣ - علي كوسو : وزيراً للعدل .
- ٤ - جبريل خير الله : وزيراً للخارجية .
- ٥ - أحمد كتكو : وزيراً للتربية والتعليم .
- ٦ - جانباتيز : وزيراً للمواصلات .

كما عين هواي الشيخ بن ابراهيم قاضياً للقضاة ، وقد حصل تعارض بين القانون الفرنسي والشريعة الإسلامية وخاصة لجهل

الناس بالشريعة فاستحضر قاضي القضاة نسخاً عديدة من كتاب
(الرسالة) على مذهب الإمام مالك مترجماً باللغة الفرنسية من
الجزائر كما استحضر كتباً إسلامية أخرى مترجمة إلى الفرنسية
ووزعت على المحاكم والمدارس ، وكان يستشهد بهذه الكتب
عند اللزوم .

وقد سارت الأمور في البداية سيراً حسناً إذ أن رئيس
الجمهورية كان يقبل النصيحة والتوجيه إلى أن استتب له الأمر
فقلب رأس المجن .

وفي شباط ١٩٦٢م ألغى رئيس الجمهورية كل الأحزاب سوى
حزبه « الحزب التقدمي التشادي » بحجة أن هذه الأحزاب كانت
قبل الاستقلال ، كما حاول إبعاد التكتل الإسلامي ، وألقى
القبض على ثلاثة من زعماء المسلمين السياسيين بتهمة تهديد أمن
الدولة ، ثم حل المجلس .

وعدل الدستور من جديد في ١٤ / نيسان / ١٩٦٢م ، وينص
على أن تشاد دولة جمهورية ، لها رئيس ، ومجلس برلماني
واحد، ينتخب أعضاؤه لمدة خمس سنوات ، بينما ينتخب رئيس الجمهورية
لمدة سبع سنوات ، ويتم انتخاب رئيس الجمهورية من قبل المجلس

ورؤساء البلديات ورؤساء المقاطعات وزعماء القبائل والوحدات الادارية ، ولا يمكن إقالته إلا بالأكثرية المطلقة لأعضاء المجلس .
جرت الانتخابات عام ١٩٦٢ م ، واستعيز عنها بانتخابات آذار ١٩٦٣ م ، حيث ضم المجلس عدداً أقل ، حيث أصبح أعضاؤه ٧٥ عضواً .

والحزب الوحيد في البلاد هو الحزب التقدمي التشادي P.P.T ، وقد انضم إليه حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي A.D.A ، ولا يختلف الحزبان عن بعضهما في المبادئ . وكان قسم من رؤساء الوحدات الادارية وزعماء القبائل في شمال البلاد من أعضاء هذا الحزب ، وكان أهمهم عمدة منطقة برداي (سوغومي) وهو من قبائل التيبو ، وقد جرت محاولة لضم ملك تيبستي إليه ولكن دون جدوى .

وقد انضم كثير من المسلمين تحت لواء الحزب القومي الإفريقي P.N.A الذي تشكل عام ١٩٦٠ م وشكل المعارضة ، وحصل على ٢٨ مقعداً في المجلس النيابي ، ولكنه عقد اتفاق بين الحزبين P.P.T و P.N.A ، وأوجدت كتلة الحزب التقدمي التشادي .

وفي شهر آذار ١٩٦٢ م وصل سفير إسرائيل إلى تشاد ، مما أثار

غضب المسلمين هناك فاتصل قاضي القضاة بوزير الدولة ووزير الخارجية وسكرتير الدولة ووزير العدل ، كما قابل أيضاً سكرتير الحزب الحاكم وهو « بابا حسن » وهو مسلم^(١) وتكلم معهم بأنه لا يجوز أن تقبل الحكومة سفيراً لإسرائيل فإن هذا ما يتنافى مع علاقات ورابط مسلمي تشاد بياخوانهم من المسلمين في البلاد العربية والإسلامية ، لأن إسرائيل دولة معتدية وتاريخها وتاريخ اليهود معروف بالنسبة للمسلمين من أول فجر الإسلام حتى اليوم ، وإن قضية فلسطين إنما تخص كل مسلم ومسلمة في جميع أنحاء العالم ، وأنه زار القدس بنفسه أثناء اجتماع المؤتمر الاسلامي ، ورأى الظلم الذي أوقعه اليهود بالعرب ، فوعدوا أن ينقلوا هذا لرئيس الجمهورية ، وأن يظهروا عدم رضاهم عن هذا الموضوع .

وفي اليوم التالي قام سفير إسرائيل بمقابلة وزير الخارجية فقابله هذا الأخير بمقابلة جافة وغير لائقة ، ثم قابل السفير الإسرائيلي رئيس الجمهورية ، ونقل له ما جرى من وزير الخارجية فتأثر الرئيس تأثراً بالغاً ، وطمأنه أن كل شيء سيمير نحو الأحسن .

(١) يظهر أن المسلمين الذين ينتسبون للأحزاب والجماعات غير الاسلامية ليسوا إلا مطية لتلك الأحزاب والفئات ، ينفذون أغراضهم ، ويخدمون مصالحهم ، كما أن هذه الجماعات تنال مآربها باسمهم وتدعي أنها لاتعادي الاسلام فها هي تضم في صفوفها عناصر بارزة من المسلمين ، وعندما تدعو الحاجة تقذف بهم إلى الوراء ، وقدوس كل ما ادعته .

وفي ٢٢ آذار أجري تعديل وزارى أخرج بموجه جميع الوزراء المسلمين من مناصبهم واستبدلهم برزراء غير مسلمين . فقد نقل أبا نسرو من وزير الداخلية إلى وزير للدولة وشغل محمد عبد الكريم منصب رئيس الجمعية الوطنية بدلاً من وزير للدفاع . أما باقي الوزراء فلم يعينوا في أي منصب آخر . كما نفي وزير التربية والتعليم إلى خارج البلاد .

وفي نفس اليوم أمر رئيس الجمهورية باعتقال قاضي القضاة ووزير الدولة أبا نسرو ، ورئيس الجمعية الوطنية محمد عبد الكريم ، والسيد علي كوسو وزير العدل السابق ، وسكرتير الدولة الحاج عيسى ، وعضو مجلس النواب السيد برما مهدي . وبعد ٣٥ يوم أحضروا للاستجواب فكانت النتيجة أن تقرر إخراج قاضي القضاة من البلاد لأنه ليس من سكان البلاد الأصليين بعد مصادرة جميع أمواله ، وسافر فعلاً إلى جمهورية مالي حيث هناك بلده الأصلي ، وبقي الآخرون رهن الاعتقال .

وأخذت الأمور تسوء باستمرار ، وبدأ الزعماء المسلمون يفكرون في إحراء تغيير في نظام الحكم ، وتنفيذاً لذلك بدأوا بالاتصال بضباط الجيش ، ولكن عيون رئيس الجمهورية استطاعت كشف الحركة ومعرفة الأشخاص القائمين عليها .

وفي ١٦ أيلول أرسلت الحكومة ثلة من البوليس لاعتقال

ثلاثة من زعماء الحركة ، وهم : جانباتييز وهو ابن لرجل فرنسي وأم
وطنية ، وكان يشغل منصب وزير المواصلات في الحكومة السابقة ،
ولكنه مسلم ، والسيد جبريل خير الله الذي كان يشغل منصب
وزير الخارجية ، والسيد أحمد غلام الذي كان يشغل منصب رئيس
الوزراء قبل الاستقلال ، ولكنهم رفضوا الانصياع للأمر ، وقتلوا
أحد أفراد البوليس ، فأرسلت الحكومة قوة من الجيش مسلحة
بالسلاح الكامل ، وتبادلت إطلاق النار مع الرجال الثلاثة ، وفي
نفس الوقت كانت نفسية الشعب مهيأة للثورة التي اشتعلت ، وكانت
نتيجتها أن اعتقل عدد كبير من المسلمين ، وقتل حوالي ٥٠٠ مسلم ،
وجرح الآلاف ، توفي منهم حوالي ٥٠٠ أيضاً متأثرين بجراحهم .

ثم جرت محاكمة صورية لزعماء الحركة والوزراء السابقين
وأصدرت الأحكام التالية :

- أبا نسرو وزير الدولة السجن المؤبد .
- محمد عبد الكريم وزير الدفاع السابق السجن المؤبد .
- علي كوسو وزير العدل السابق السجن ٢٠ عاماً .
- الحاج عيسى سكرتير الدولة السجن ٢٠ عاماً .
- برما مهدي عضو مجلس النواب السجن ١٥ عاماً .
- بابا حسن سكرتير الحزب الحاكم السجن ٢٠ عاماً .

ويمثل المعارضة حزب الاستقلال الوطني والاتحاد الوطني التشادي،
وتألفت حكومة جديدة من ١٢ وزيراً، ثلاثة وزراء فقط من المسلمين
الذين يمثلون ٩٠٪ من السكان ، وفي نهاية عام ١٩٦٥ اعتقل
رئيس الجمهورية ثلاثة من وزرائه بتهمة محاولة اغتياله ، وأوضح
في الاذاعة أن هناك قائمة من الشخصيات المشتركة في المؤامرة.
لم تكتمل بعد ، وأن المعتقلين هم من حزب الاستقلال الوطني .
وقد زار وفد من تشاد يمثل حزب الاتحاد الوطني التشادي برئاسة
السيد ابراهيم انيسا الأمين المساعد للحزب المذكور والسيد أبو بكر
عثمان ، زار هذا الوفد الخرطوم والقاهرة ودمشق وبعض البلدان
العربية الأخرى ليوضح المسؤولين في هذه البلاد حقيقة الوضع في
تشاد .

خرج الاستعمار الفرنسي من تشاد ، وقبل أن يخرج أراد
أن يجعل إدارة البلاد في أيدي فئة يحبها وتحبه ، فربى باشرافه ونحت
ناظره هذه الفئة ، ساءمها مقدرات البلاد الذين باعوا ديناهم بدينهم ، وأعطوا
أنفسهم للأجنبي ورغم هذه الصفات المنكرة التي تتوفر فيهم ، والعبودية
التامة للفرنسيين لم تخولهم هذه المزايا أن يستلموا ادارة البلاد لأن

الفرنسيين كانوا لا يثقون بهم ، ويخافون أن يكون هذا السلوك رياء ؛ وأن تعاودهم نفحات من الايمان فيقذفون بكل مايت للفرنسيين وأتباعهم بصلة إن آل إليهم الأمر ، والواقع أن حقد الفرنسيين الصارخ على الاسلام يبعدهم أن يفعلوا مثل هذا الفعل ويأمنوا المسلمين ولو كانوا منحرفين ، وكانت إلى جانب هذه الفئة العميلة جماعة من دين المستعمر رباهم المبشرون ، وتعهدهم الفرنسيون فاعطوهم الاشراف على البلاد ، وخرجوا مطمئنين ، وليست هذه الحالة في تشاد فريدة من نوعها بل كانت في كل بلد فيه مسلمون مهما كانت نسبتهم مرتفعة فلا تسلم البلاد إلا إلى أيد غير مسامة هكذا فعل الفرنسيون في تشاد وفعل الانكليز في نيجيريا وتجانيناكا و.....

نحن نسمع أن دول أوربا قد أصبحت علمانية لا تقيم للناحية الدينية أي اهتمام ، ويحاول المتفرونجئون في المشرق تقليد ذلك ويسيرون نحو الانحلال والردائل السير الحثيث على هذه الخطى ليتخطوا القيود الدينية والاخلاقية التي يفرضها الدين على تصرفاتهم الشاذة ولكننا نرى في الوقت ذاته أن هذه الدول في مستعمراتها تسير لا على نهج ديني فقط وإنما حسب خطة طائفية موضوعة فتقدم المسيحيين وتبعد غيرهم ، تعلم اتباع دينها وتقف في وجه تعليم غيرهم بل

تتحرص كل الحرص على ابقائهم في حالة من الجهل لابعادهم عن دوائر الدولة وإذا نادى أحد المسلمين بالمساواة بينهم وبين غيرهم نعت بالطائفية والرجعية والتأخر وكل صفة ذميمة وقيل له إن إنسان القرن العشرين لا يهتم بالناحية الدينية ولذلك لا يحق لك القول أو البحث به مطلقاً وكذا فانتنا نسمع في كل يوم ونرى صراحة أن الذين يتخذون من محاربة الطائفية شعاراً لهم لا تنمو الطائفية ولا تتزعزع إلا إبان سطوتهم، وهكذا فقد ترك الفرنسيون دولة تشاد بأيدي أقلية مسيحية لا تزيد نسبتها عن ٥٪ تتحكم في شؤون البلاد ومقدراتها وتسوم غير أتباعها سوء العذاب حسب وصية أسيادها الفرنسيين .

هذه الأحقاد المتوارثة من قبل الصليبيين منذ الفتوحات الاسلامية الكبرى إلى اليوم وهذه التصرفات السيئة التي يعامل بها المستعمرون السكان المسلمين في المناطق التي آلت إليهم حمايتها واستعمارها ستؤدي في المستقبل إلى رد فعل من قبل المسلمين الذين بدأوا يشعرون بأسبابها ودوافعها وسيقاتلون صفاً واحداً أمام هذه التصرفات، وإذا كان بعض المسلمين الذين انحرفوا عن مبادئ دينهم، وضلوا الطريق ، فانهم سيعودون في المستقبل إلى جادة الصواب ،

وإضافة إلى هذه الاحقاد فإن المسلمين لم ينسوا مطلقاً نظم الحكم الفاسدة التي جربوها كلها فلم تؤد في البلاد إلا إلى أسوأ الاحوال فاعتقدوا بعدم صلاحها ، ورأوا في نظام الاسلام ذلك المنهج القويم الذي لا تظاله الشبهة ولا يمكن أن يصل اليه النقد خير سبيل لانقاذ البلاد من الفوضى وحماية أخلاقها والعناية بتربتها .

خرج المستعمر وسلم مقاليد الامور إلى الحزب التقدمي التشادي الذي برأسه السيد فورانسوا تومبالباي ويطبق سياسته التي لا تختلف عن سياسة المستعمر فالصلة مع امرائيل واضطهاد المسلمين ونشر المفاسد والحكومة التي تعين تعييناً وتتألف من ١٢ وزيراً ليس فيهم إلا ثلاثة وزراء من المسلمين نظريباً .

بدأت الحكومة بالاضطهاد وفرض الضرائب ، فقامت أول انتفاضة عام ١٩٦٥ ، ولم تكن منظمة فقضي عليها بسرعة ، ولكن يمكن اعتبار هذا العام بدءاً للثورة العامة ضد الحكم ، ومن هذا تشكلت الجبهة الشعبية لتحرير تشاد ، واختير السيد أبو صديق أميناً لسر هذه الجبهة ، وهو من مؤسسي حزب p . p . T عام ١٩٤٦ هو وتومبالباي ، وبقي في هذا المنصب القيادي للحزب حتى عام ١٩٥٩ ، حيث شغل هذا المركز تومبالباي ، وتفرد بالأمر ، ومع ذلك بقيا صديقين حتى عام ١٩٦٨ م

وما بدأت أخبار انتفاضة ١٩٦٥ حتى تم اعتقال نائب رئيس الجمعية الوطنية السيد جلال وثلاثة من الوزراء هم : وزير الدولة ، والوزير المكلف بشؤون العدل السيد محمد بارود ووزير شؤون رئاسة مجلس الوزراء السيد محمد غوني ، كما اعتقل نائب مدينة بانغور السيد بول جبرين ، وكانت قد حدثت اصطدامات دموية في أول من تشرين الثاني بمدينة « مانغالم » ، وكان وقوع حادث بسيط كفيلا بأن يتخذ من العنف أشده ويبلغ من الخطورة مداها ، وقد وقعت هذه الأحداث على أثر الانفجار الذي نشب في هذا القطاع ، وأسفر عن ثمانية قتلى .

ثم قامت الثورة في عام ١٩٦٧ ، وشملت أكثر المناطق الإسلامية ، وخاصة تيبستي وبلاد التيو ، حيث سيطر الثوار على المناطق الشمالية ، واستنجد تومبالباي رئيس جمهورية تشاد بفرنسا ؛ فأمدته بـ ٨٠٠ مظلي عام ١٩٦٨ ، ولكن لم تجدد هذه المساعدة في استعادة مدينة « اوزو » فأرسلت له نجدة ثانية عام ١٩٦٩ تقدر بـ ٢٦٠ جندي من الفرقة الأجنبية ومشاة البحرية ، ووصلت هذه المساعدة في شهر نيسان ، ولكن لم تستطع حكومة تشاد من السيطرة على الموقف إلا في شهر مايس عام ١٩٧٠ م .

ويدير جبهة تحرير تشاد الدكتور أبو صديق من ليبيا .
أظهر تومبالباي سياسة المهادنة ، وطلب سحب القوات الفرنسية
من المناطق الشمالية ، فقبلت ليبيا عن هذا التصرف ، ولكن هذا
لم يقنع جبهة تحرير تشاد التي كانت في الجزائر ، ولا زعيم قبائل
التيبو الذي كان يعيش في منفاه في ليبيا ، حيث كانت حكومة
تشاد تحاول في كل مرة إظهار التعاون مع المسلمين ثم لا تلبث
أن تضطهدهم ، وتعلن عن محاولة لهم لتهديد أمن الدولة أو محاولة
القيام بانقلاب - تدعي هذا - لتضربهم ضربة قاصمة ، دون أن يظهر
منهم أي عمل .

ويتضح هدف جبهة التحرير الوطني التشادي من المكافحة التي أجراها
الأمين لهذه الجبهة وهو السيد محمد الباقلاتي مع جريدة فتح ،
وكان بما قاله :

إن عدد سكان تشاد ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة ،
منهم ٨٥ ٪ من المسلمين ، و ١٠ ٪ من الوثنيين ، و ٥ ٪ من
المسيحيين ، وإن تشاد كانت مستعمرة فرنسية ، وقد منحت
بتاريخ ١١/٨/١٩٦٠ استقلالاً شكلياً على أثر جهاد طويل ونضال
مرير خاضه شعب تشاد ضد الاستعمار الفرنسي ، واستدل السيد
الباقلاتي على شكلية الاستقلال بالأمور الآتية :

١ - تزوير الانتخابات .

٢ - تسليم السلطة لعملاء الاستعمار برئاسة فرانسوا مبالباي وفرض وجوده بالحديد والنار .

٣ - فتح الباب أما التغفل الصهيوني إذ أصبحت الشركات الاسرائيلية تسيطر على كل المرافق الموجودة في الدولة : المجالات العسكرية والاعلامية والمدرسية - وخاصة إدارة اللغة العربية - ، كما قام الصهاينة باقامة معسكرات للشباب والإشراف عليها ، وإرسال القياديين من هؤلاء الشباب إلى فلسطين المحتلة لتدريبهم وإعدادهم كعملاء للصهاينة في المنطقة ، كما قاموا بإنشاء ما يسمى بالمستعمرات الزراعية ، واحتكار الصيد البري والبحري ، وافتتاح المراكز الثقافية وتوزيع الكتب باللغة العربية والفرنسية والانكليزية لتثبيت دعاية الصهاينة ، وباختصار فإن اسرائيل أصبحت المخطط والموجه لسياسة تومبالباي .

٤ - وجود القوات الفرنسية .

٥ - حل الأحزاب السياسية باستثناء - الحزب التقدمي التشادي - الحاكم العميل ، فقد كان هناك حزب الاستقلال الوطني الافريقي والاتحاد الوطني التشادي ، وكانا يشكلان المعارضة في البلاد -

ويمثلان الأغلبية فما كان من العميل تمبالباي إلا أن حل هذين الحزبين وحل البرلمان ، وعين بعض العملاء تعييناً تعسفياً ، وقابل كل معارضيه بقوة السلاح .

هذه الأوضاع جعلت الشعب يستنكر هذه اللعبة الاستعمارية المسماة بالاستقلال ، وابتدأت المعارضة بشكل تظاهرات ، وبدأ الاستعمار باستعمال وسائل القمع البوليسية الارهابية ، واعتقل كل الوزراء المسلمين المشتركين في حكومة تمبالباي وذلك على ضوء خطة تمزيق البلد بالطائفية ، ومسح نضال الشعب بحيث يبدو وكأنه نضال أغلبية ضد أقلية ^(١) مما يبعده عن الارتباط الصحيح بحركة التحرر العالمي .

هذه الأوضاع الشاذة هي التي جعلت الشعب يلجأ إلى حمل السلاح دفاعاً عن نفسه وحماية عن كرامته وشعوره القومي ، وقد نشأ تنظيم مري تكتل فيه كل الزعماء المعارضين الذين بقوا خارج السجن ، وخرج بعضهم إلى الدول الافريقية والعربية لنقل القضية إلى المحيط الدولي وبعد الاعداد والتكوين انطلقت الشرارة الأولى للثورة في تشرين الثاني عام ١٩٦٥ م بقيادة الاتحاد الوطني التشاردي ، وبعد أن توسعت الحركة الثورية عقد مؤتمر شعبي في حزيران

(١) يدعي المستعمر أن المسلمين أقلية في تشاد وتبلغ نسبتهم ٤٥ ٪ من مجموع السكان ، وليس لهذا الادعاء أساس من الصحة .

١٩٦٦ م ونتج عنه تكوين جبهة التحرير الوطني التشادي ومن ذلك
الحين أصبحت الجبهة هي المنظمة الوحيدة التي تقود الحركة الثورية
في تشاد .

وأهداف الجبهة هي :

- ١ - القضاء على النظام الدكتاتوري .
- ٢ - جلاء القوات الفرنسية .
- ٣ - تكوين حكم ديمقراطي عادل ، يكفل الحقوق لكل
المواطنين .
- ٤ - مساندة حركات التحرر في البلدان الافريقية والعربية
وخاصة الثورة الفلسطينية .
- ٥ - تصفية النفوذ الصهيوني .
- ٦ - بناء اقتصاد وطني مستقل .
- ٧ - جعل اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية .
- ٨ - إقامة علاقات دبلوماسية مع الجميع باستثناء - إسرائيل
وجنوب إفريقيا - .

وجبهة التحرير الوطني التشادي لها نشاط سياسي وعسكري
إلا أنها تولي النشاط العسكري الأهمية الأولى في هذه المرحلة ،

وقد تمكنت من السيطرة على ثلثي البلاد . وكادت تسقط حكم
العيل تمبا لباي لولا أنه استعان بالقوات الفرنسية التي تستعمل
الطيران في محاولة منها لإبادة ثوارنا ، مما أعاق النصر القريب
قليلاً ، ولكن على الرغم من كل الصعوبات فإن الثورة تتقدم
والحكم العيل ينحسر .

ويجدر بنا أن نقول أن الثورة تعتمد على إمكاناتها الذاتية ،
على بذل الشعب واستعداده للشهادة ونحن نأمل أن يتحرك الشعب
الفرنسي بالضغط على حكومته لإيقاف الاعتداء على شعبنا المناضل .
لقد استطاعت الجبهة أن تصفي المطارات العسكرية الاسرائيلية
التي أقيمت في تشاد على الحدود المشتركة بيننا وبين السودان
من جهة ، وبيننا وبين ليبيا من جهة أخرى .

كما أنها صفت كل المستعمرات الزراعية التي أقامها الصهاينة
في تشاد - المناطق المحررة - وكذلك أماكن الصيد التي تبلغ
مساحتها ٢٠٠ كم^٢ ، كما صفت مركز تدريب الشباب في منطقة
كوكونقرا ، وكل هذا على سبيل المثال لا أكثر .

ونريد بهذه المناسبة أن نتجه إلى رجال الثورة الفلسطينية ،
لنؤيدهم برفض المشاريع التصفوية مثل مشروع مجلس الأمن الصادر
في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ومشروع روجز الأخير . لأن أي

ثورة لا تكتسب ثورتها إلا من رفضها للتخاذل وانصاف الحلول ،
فليس مجلس الأمن هو الذي يضمن حق شعب فلسطين .

واعتقد أن الصحيح والأمثل هي ما رفعته فتح (ثورة حتى
النصر) . وبهذه المناسبة فنحن نتجه إلى الدول العربية لتعتبر كفاحنا
ضد الصهيونية والاستعمار امتداداً لكفاحها ، وكم كان شعبنا
يشعر بمرارة عندما لم يجد من يستنكر العدوان الفرنسي علينا ،
فنحن نسأل الاعلام العربي لماذا يستنكر العدوان على فيتنام ويتجاهل
العدوان الفرنسي على تشاد وغيرها (١) .

وفي ليلة الجمعة ٢٧ آب ١٩٧١ أعلن عن محاربه انقلاب ترعها
أحمد عبد الله الذي انتحر عندما فشلت المحاولة ، وقيل في انتحاره
أنه يريد إخفاء تفاصيل العملية ، والذين اشتركوا معه فيها ، فتوترت
العلاقة من جديد بين ليبيا وتشاد ، حيث ادعت حكومة تشاد أن
ليبيا كانت من وراء العملية ، فقطعت العلاقات الدبلوماسية بينهما ، وصرح
رئيس جمهورية تشاد في ٦ أيلول في مؤتمر صحفي بأنه مستعد
للتعاون مع أي ليبي يرغب في استخدام أرض تشاد منطلقاً لمحاربة
معمر القذافي الرئيس الليبي . وقد أرسلت تشاد بعثات رسمية
لشرح تفاصيل المحاولة الانقلابية الفاشلة للدول العربية والافريقية (٢) .

(١) جريدة فتح بتاريخ ٨/٢ / ١٩٧٠ .

(٢) ومما يؤسف له أن هذه البعثات قد استقبلت في البلاد العربية .

وقد اعترفت ليبيا في ١٩ أيلول رسمياً بالجهة الشعبية
لتحرير تشاد .

وبعد فترة زال كثير من الاتهامات ، وعادت الحالة إلى
وضعها الأول من تعصب ديني وقبلي . إن بعض قبيلة السارا قد اعتنق
الإسلام ودان الآخر بالمسيحية ، والذين دخلوا الإسلام منهم يعاملون
معاملة سيئة ، ويفرق بينهم وبين أشقائهم المسيحيين فمثلاً حاكم منطقة
زوار وهو (اللافي) لم يرق إلى رتبة أعلى من ملازم أول ولا يحق له
تجاوزها لكونه مسلم رغم أنه من السارا ، بينما حاكم منطقة برداي
وصل إلى رتبة رائد ، وهو أقل قدماً من الأول ، وهذا التقدم في
الرتبة لكونه مسيحياً ومن قبيلة السارا أيضاً ، وهي القبيلة الحاكمة
التي ينتمي إليها تومبالباي رئيس جمهورية تشاد الحالي .

ولا يسمح للمسلمين بحمل السلاح أبداً في حين يسمح لغيرهم ،
وكل من يسمح له من المسلمين هو ملك تيبستي فقط ، كما أن
بعض السجون خاصة بهم ، فسجن برداي مثلاً وهو في الشمال لم
يعرف سجيناً من غير المسلمين ، وذلك بسبب كثرتهم وكثرة التهم
التي تلحق بهم ، والنظرة الخاصة لهم .

تشاد وعلاقتها الدولية

١ - مع إسرائيل : يتغلغل النفوذ الإسرائيلي في تشاد بشكل واسع وذلك لأن الثقافة واحدة في إسرائيل وتشاد وهذه الثقافة هي الثقافة الغربية ، كما أن الاستعمار وطد أقدام إسرائيل في تشاد قبل خروجه من البلاد . هذا بالإضافة إلى اعتراف إسرائيل المباشر باستقلال دولة تشاد عام ١٩٦٠ .

وتشاد دولة فقيرة بحاجة إلى المساعدة والعون ، وقد اسرعت إسرائيل فعرضت عليها المساعدات الفنية والثقافية وكان في تشاد خمسة خبراء إسرائيليين عام ١٩٦٢ م ودعت حكاه تشاد لزيارة إسرائيل ، وقبلت طلاباً منها في المعهد الافروآسيوي الذي تأسس في ١٨ تشرين الأول عام ١٩٦٠ في إسرائيل .

ولإسرائيل سفارة في تشاد منذ عام ١٩٦٣ ، بينما تشاد ليس لها سفارة في إسرائيل .

وتقوم إسرائيل بتدريب الجنود التشاديين ، وللهود حرية التنقل في كل أراضي تشاد ، وأكبر تاجر في تشاد هو صادق اليهودي

والمسلمون يقاومون اليهود في جميع المجالات ، فقد جاء طبيبان يهوديان إلى مدينة فايا لمداداة السكان مجاناً ، ولكن رفضها السكان ، فحومت المدينة من أي طبيب آخر جزاء لهذا الرفض ، وبقيت المدينة بدون طبيب منذ عام ١٩٦٦ م .

ويجد اليهود دعماً من إسرائيل بينما غابت المنافسة لإسرائيل من قبل الدول العربية والإسلامية .

٢ - مع فرنسا : فرنسا الدولة المستعمرة لتشاد سابقاً ، وقد أوجدت أنصاراً لها قبل انسحابها من البلاد عام ١٩٦٠ ، ولا يزال هؤلاء الأنصار حكماً للبلاد سواء الذين يرتبطون مع فرنسا بالعقيدة أو بالمنفعة أو بكليهما معاً .

ولفرنسا حامية إلى الآن في العاصمة تقدر بـ ١٠٠٠ جندي إضافة إلى الاتفاقية القائمة بين الدولتين والتي تقضي بالمساعدة العسكرية لتشاد حين الضرورة ، وقد نفذت بنود هذه الاتفاقية أثناء ثورة قبائل التيبو في الشمال عام ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م .

وتعتبر اللغة الفرنسية هي الرسمية في البلاد ، وتقوم بين الدولتين علاقات دبلوماسية على مستوى سفارة .

٣ - مع ليبيا : الصلات وثيقة بين ليبيا وتشاد فالرابطة

الدينية تربط بين شعبيها وهناك السنوسية التي تنتشر في ليبيا وشمال تشاد ، وهناك قبائل واحدة تنتقل بين البلدين حتى أن بعضهم من أبناء بلد يملك أراضي في البلد الآخر ، ويحمل بعضهم جنسية البلد الثاني و ٧٠٪ من تجارة تشاد بيد الليبيين ، وقد بلغ عدد التجار من ليبيا في تشاد عام ١٩٦٦ ما يزيد عن ٣٥٠,٠٠٠ تاجر ، وقد عاد معظمهم إلى ليبيا بعد ازدياد الثروة البتولية فيها . كما يوجد ٣٠٠٠ رجل من قبائل التيوو يعملون في الجيش الليبي .

وهناك خلاف بين الدولتين على الحدود ، فقد رسمت الحدود عام ١٩١٩ بين البلدين باتفاق بين فرنسا وإيطاليا الدولتين المستعمرتين ، ثم عدلت هذه الاتفاقية عام ١٩٣٥ ، دخلت بموجب هذا التعديل الأقسام الشمالية من جبال تيبستي ضمن ليبيا ، ولكن هذا التعديل لم ينفذ ، وأثناء الحرب العالمية الثانية وسعت فرنسا حدود تشاد الشمالية على حساب ليبيا ، وبعد الحرب عام ١٩٥٥ صرف النظر نهائياً عن اتفاقية عام ١٩٣٥ ، وبهذا بقيت أقسام من ليبيا ضمن تشاد ، وتعتبر ليبيا ممر كوريزو نقطة حدود بين الدولتين بينما هو ضمن أرض تشاد ، وتبعد عن الحدود التي رسمتها فرنسا أكثر من ١٦٠ كم .

ويوجد بين الدولتين تبادل دبلوماسي على مستوى سفارة ،
ولكن قطعت هذه العلاقات بعد محاولة الانقلاب التي قامت في
تشاد عام ١٩٧١ ، والتي اتهمت تشاد حكومة ليبيا أنها وراء
هذه العملية ، واعتبرت ليبيا رسمياً بالجهة الشعبية لتحرير تشاد
التي تعمل لتغيير نظام الحكم القائم .

٤ - مع السودان : وهناك صلات وثيقة بين تشاد والسودان
تشبه إلى حد كبير العلاقات بين تشاد وليبيا حيث توجد قبائل
تتنقل بين البلدين ، وتربط بين الشابين الرابطة الدينية . وكذلك
يوجد تبادل دبلوماسي على مستوى سفارة .

٥ - مع بقية البلاد العربية : لا يوجد بلد عربي آخر له
علاقات مع تشاد ، كما أن المنافسة العربية لأمرائيل في تشاد
تعتبر بحكم المعدومة . والاهتمام بهذه الدولة قليل ، ودعم المسلمين
هناك مفقود .

المدن

تتوزع المدن والقرى في تشاد بشكل غير متساو في جميع أنحاء البلاد ، فتزداد القرى في الجنوب حيث المناطق الزراعية التي تعتمد على مياه الأمطار الصيفية ، وعلى الري الدائم من الأنهار الجارية .

وليس لبنائها مكان معين ، وأفضل ما تكون على المرتفعات خوفاً من الأمطار والسيول . ثم هناك القرى في الشرق والشمال ويكون سكانها مزيجاً من الحضر والبدو ، فهي تعتمد على الري بالدرجة الأولى ثم على بعض أنواع الزراعة وهذه القرى أشبه ما تكون بالواحات في قلب الصحراء وتبنى هذه على ينابيع المياه الضحلة .

أما في منطقة البحيرة القديمة فنجد القرى قليلة ومبعثرة ، وذلك لأن المناخ غير ملائم ، وتؤلف المستنقعات قسماً كبيراً من المنطقة ، ويظهر هذا الأمر جلياً في منطقة منخفض بودي .

ولا تزال المدن في تشاد صغيرة أشبه ما تكون بالقرى ، وهي في أول تقدمها وتطورها وأهم هذه المدن :

فورت لامي : وهي العاصمة ويقصد بها قلعة لامي ، ولامي هو القائد الفرنسي الذي قتل على أبوابها عام ١٩٠٠ م في معركة حامية جرت بين القوات التشادية بزعامة الأمير رابح والقوات الفرنسية تحت إمرة لامي ، وقد كانت هذه المدينة قبل هذه المعركة تعرف باسم قصيري . ويبلغ عدد السكان فيها اليوم ما يقارب / ٩٠ / ألف نسمة ويؤلف المسلمون ٤/٥ سكانها ، وفيها ما يقارب ثلاثة آلاف من الأوروبيين ، وبشكل الإسلام رابطة قوية بين السكان ، وتكثر في العاصمة المساجد ، كما تكثر الزوايا ، ولا تزال أكثر البيوت تبنى على الطراز العربي ، والتجارة فيها بأيدي شعب الحاووسا المسلم والكانوري المسلم بأكثريته والذي لا يزال فيه بعض الوثنيين ، كما يصل إلى العاصمة جماعات من شعوب السارا والكويتوكو طلباً للعمل ، وتقع المدينة عند التقاء نهري شاري ولوغون في منطقة لا تبعد عن بحيرة تشاد أكثر من / ١٥٠ / كم وعلى الحدود مع الكامرون . والملاحة النهوية هي واسطة النقل الكبرى بل الواسطة الوحيدة ، لذلك

نجد أن العاصمة تصنع السفن والزوارق الضرورية للعمل في الأنهار .
وتحيط بالعاصمة المنطقة الزراعية بسبب وجود الماء اللازم للري ،
كما أن الأمطار تكفي في كميتها للزراعة . ولكن تكثر المستنقعات
في تلك المنطقة وخاصة بعد فترة الأمطار . وتعتبر فورت لامي
اليوم نقطة التقاء الطرق التجارية القادمة من الشمال والجنوب
والشرق والغرب .

فورت ارشامبول : وتقع في الجنوب عند التقاء نهر شاري
بوافده نهر كيتا من الجهة اليمنى ورافده نهر أوهام من الجهة
اليسرى . وتعتبر ثاني مدينة في البلاد .

وقد كانت قديماً تتبع جمهورية إفريقية الوسطى عندما كانت
هي وتشاد جزءاً من إفريقية الاستوائية الفرنسية ، وتبنى فيها
السفن والزوارق التي تسير في نهر شاري . وفيها مدرسة ابتدائية
تدرس علوم الشريعة .

نيفور : وتقع على حدود الكامرون على نهر لوغون ، وتقوم
منطقتها على الزراعة بالدرجة الأولى بسبب الأمطار الكافية في فصل
الصيف ، وعندما يأتي فصل الجفاف وهو الشتاء يكون الطمي الذي
حملته الأنهار قد توضع . فتتمو عليه الزراعات العديدة .

أبيشة : وقد انتقل إليها مركز منطقة واداي الذي كان في مدينة وارا ، وتقع على ملتقى قوافل الحجاج؛ ولها شهرتها الدينية حيث تكثُر المدارس الشرعية . وفيها المعهد الديني الذي أسس عام ١٩٤٦ ، وقد أغلقه الفرنسيون عام ١٩٥٣ ولكن السكان قد احتجوا على هذا الإغلاق وقاموا بمظاهرات كبيرة مما اضطر الحكومة إلى إعادة افتتاحه ، ولكنها أصبحت هي المشرفة عليه ، وأكبر مساجدها جامع السلطان الذي بني عام ١٠٧٦ هـ ، كما يوجد فيها جمعية الفقهاء . ولهذا المركز الديني جعلها الفرنسيون مقراً للمذبة التي دبروها للعلماء ، وهي مذبة كبكب .

ثم هناك مدن مهمة مثل ماو شمال شرق البحيرة وفايا في الشمال وتعتبر مراكز حضارية وأسواقاً للمناطق المجاورة لها .
وتقسم تشاد الى تسع مقاطعات ثلاث منها في المنطقة الجنوبية وست في المنطقة الشمالية .



الفهرس

الموضوعات	الصفحة
المقدمة	٣
علاقتنا بتشاد	٦
تشاد	١٩
الأرض	١٩
المناخ	٢٣
المياه	٢٦
تاريخ تشاد	٢٩
دخول تشاد التاريخ مع انتشار الاسلام	٢٩
اعداء الاسلام	٢٩
انتشار الاسلام	٣٣
الممالك الاسلامية	٣٧
مملكة كانم	٣٧

٣٩	مملكة واداي
٤١	مملكة باغيرمي
٤٣	الأمير رابع
٥٠	أثر العثمانيين
٥٠	الطرق : السنوسية
٥٢	التيجانية والقادرية والمرغنية
٥٣	القبائل
٥٨	الحياة البشرية
٦٢	الحياة الاقتصادية
٦٦	الحياة السياسية
٩٤	تشاد وعلاقتها الدولية
٩٨	المدن
١٠٣	الفهرس

مواطن الشعوب الاسلامية

- | | |
|----------------------|-------------------------|
| أ - في إفريقيا | ب - في آسيا |
| ١ - غينيا | ١ - تركستان الغربية |
| ٢ - نيجيريا | ٢ - تركستان الشرقية |
| ٣ - الصومال | ٣ - قفقاسيا |
| ٤ - موريتانيا | ٤ - باكستان |
| ٥ - أريتيريا والحبشة | ٥ - اندونيسيا |
| ٦ - تشاد | ٦ - اتحاد ماليزيا |
| ٧ - تانزانيا | ٧ - المسلمون في الفلبين |
| ٨ - السنغال | |
| ٩ - اوغندة | |
| ١٠ - ليبيا | |
| ١١ - السودان | |